

عيسى فتوح

شفيق جبري شاعر الشام

بقلم عيسى فتوح

* * *

كما عاش الاديب الكبير شفيق جبري سنواته الاخيرة في منزله في « بلودان » بصمت ، بعيدا عن الناس والاضواء والمدينه المشغولة ، كذلك رحل الى العالم الاخر بصمت ، بعد شيخوخة هادئة ، آثر فيها العزلة والانقطاع ، الا عن الكتب التي كانت صديقه في خلوته ، ومؤنسه في وحشته، وسلواه الوحيدة ، فلا زوجة ولا اولاد يعكرون عليه صفو هذه الوحدة النفسية التي ارتضاها ، بعد ان احيل الى التقاعد من عمادة كلية الآداب في جامعة دمشق عام ١٩٥٨ ، وعاش مع القرويين البسطاء ممن لا صلة لهم بالادب ، ولا علاقة لهم بالشعر، يأنس بأحاديثهم الساذجة، فهم في الواقع طيبون الى ابعد الحدود ، لا يعرفون الغيبة والنميمة وتزوير الكلام .. وقد اتاحت له هذه الحياة القروية البسيطة الخالية من اللهاث والتعب والسباق الذي يمارسه سكان المدن يوميا ، ان يعيش اثنين وثمانين عاما.

زرته مرة واحدة في منزله ببلودان قبل عشر سنوات تقريبا، وكنت وحدي، وبلا سابق موعد رحب بي وجلست معه اكثر من ساعتين ، يحدثني بلا ارتواء ، يبوح لي بأدق مكنوناته واخفى اسراره ببراءة الاطفال ، فقد احسست ان وراء هذه القامة الفارعة التي لم تستطع الشيخوخة ان تؤثر في استقامتها ، قلبا عامرا بالحب ، مملوءا بالطيبة والمودة والصفاء . حدثني عنه يوم اقدم ، وقد تخطى عتبة الشباب ، على خطبة فتاة من اللاذقية كانت احدى تلميذاته في كلية الآداب ، وبحاجة الى عونه ومساعدته ، وكيف تآمر عليه ذووها طمعا بذهبه وماله ، وما ان تمت الخطبة ، وحصلت الفتاة والاهل على ما يريدون ، حتى تملصوا منه ، وزوجوها لشخص آخر !

لقد تهيبت هذه الزيارة في بادىء الامر ، لانني لم اكن اعرف الرجل من قبل ، ولكن التهيب سرعان ما تبدد من ذهني منذ ان اخذ يرحب بي بلهجته الدمشقية المهذبة العريقة ، وقد اسفت لانني لم اسجل حديثه يومئذ ، ولم تتح لي زيارة اخرى غير تلك الزيارة اليتيمة . حدثني عن حياته اليومية الرتيبة ، وكيف يقضي وقته بين القراءة والكتابة والجلوس في مقهى « ابو زاد » احيانا ، وفي المساء يقصده بعض القرويين ليحدثوه عن همومهم ومشاكلهم فيساعدهم على حلها بطيبة خاطر .

مات شفيق جبري الشاعر الذي ملأت قصائده الرنانة دنيا الشام ايام الاحتلال الفرنسي لسورية ، وبعد الجلاء عنها ، مات بلا ضجيج على سرير بارد في المستشفى الطبي الجراحي بدمشق ، ودفن دفنا متواضعا بسيطا ايضا ، لا جلبة فيه ولا مواكب ، ولا خطب تأبينية، كانه لم يؤلف عشرة كتب من امهات الكتب العربية ، بينها الجاحظ ، والمتنبي ، والعناصر النفسية في سياسة العرب، وبين البحر والصحراء ، ودراسة الاغاني ، وانا والشعر وانا والنثر ، وارض السحر ، وابو الفرج الاصفهاني ... ويكتب عشرات المقالات الادبية والوطنية والسياسية في مجموعات الجرائد المنسية ؟!

لم يطبع لشفيق جبري اي ديوان حتى اليوم ، وقصائده تشكل ديوانا ضخما يحفظها الناس يوم كانوا يحسنون اختيار وحفظ الشعر الجيد ، ولو سألت احد طلاب الجامعات اليوم عن شفيق جبري لاجابك : لعله واحد من مخرجي التلفزيون ! لانه لا يكتب في الصحف ، ولا ينشر في المجلات ، الا مجلة مجمع اللغة العربية التي ظل يوافيها بمقال فصلي كل ثلاثة اشهر تحت عنوان « بقايا الفصاح » ، وفي الجزء الثالث لعام ١٩٧٩ ـ وهو آخر جزء صدر ـ كتب مقالا قصيرا بعنوان « كثرة المصادر والاسماء » تساءل فيه عن السبب الذي يكمن وراء هذه

لكثرة الغريبة ، هل مرد ذلك الى كثرة القبائل واختلاف لغاتها ؟ ويرى انه ليس من الضروري ان تعيش المصادر والاسماء كلها ، فمنها ما يموت ، ومنها ما يقل استعماله .

لقد تحول شفيق جبري في السنوات الاخيرة عن الشعر ، وانطفأت فيه جذوته التي كانت تتقد وتتلهب ايام الشباب ، وانصرف الى النثر – وهو لا شك علم من اعلامه – وحصر اهتمامه باللغة ، لان مجلة مجمع اللغة العربية التي ارتبط بها كانت تقتضي ذلك منه .

ربما كان الاستاذ زهير ماردیني الكاتب الوحيد الذي انصف صديقه شفيق جبري وهو على قيد الحياة ، فتحدث عنه مفصلا في كتابه « عشرة من الناس » وسماه « صراف الرجال » ، واستطاع ان يوفيه حقه من الدراسة والتقييم ، ويدخل الى اعماق نفسه ، ويستنتج زبدة آرائه ، ويكشف من خلال الحوار الذي دار بينهما انه ولد عام ١٨٩٨ في دمشق ، وعندما بلغ السادسة ارسله ابوه الى مدرسة « الآباء العازاريين » ، فظل فيها تسع سنوات حصل في ختامها على الشهادة الثانوية ، ويرى ان احسن مادة كان يتقنها معلموه الرهبان ، انما كانت مادة النحو التي افاد منها افادة نفعته حتى ما زاد عليها توسيعا واضافة .

وانه نسخ وهو صغير شعر المتنبي في شرح اليازجي الكبير وحفظه حتى تعلق بالادب ، وصار شغله الشاغل ، وما ان تخرج عام ١٩١٣ حتى تنقل مع والده التاجر بين يافا والاسكندرية ، ثم دخل وظائف الدولة ، فأصبح رئيسا لديوان المعارف عام ١٩١٨ ، ثم عضوا في المجمع العلمي العربي ، واستاذا في كلية الآداب ، وعميدا لها ، حتى انتخب اثناء الوحدة بين سورية ومصر ، مقررا في لجنة النثر بالمجلس الاعلى للآداب والفنون في القاهرة .

لا استطيع في مقالة قصيرة ان احيط بكل جوانب حياة المرحوم شفيق جبري واعماله الادبية ، فذلك يحتاج الى اطروحة جامعية ينهض بتاليفها احد طلاب الدراسات العليا في كلية الاداب التي عرفت آثار جهوده ، وحسبي ان اذكر بهذا الاديب العملاق الذي كان من رجال الرعيل الاول في الادب والفكر والسياسة كمحمد كرد علي ، وخليل مردم ، وخير الدين الزركلي ، وجميل صليبا ، وسامي الدهان ، وسليم الجندي ، وعبد القادر المبارك ، وسامي الكيالي وغيرهم .. وان اشير الى شاعريته الطلقة ، ايام الشباب ، وتمكنه من النثر الرفيع والادب البليغ في كل طور من اطوار حياته ، حتى ان نثره لا يقل متانة وقوة سبك عن معلمه الاول – الجاحظ ، الذي امضى في صحبته وصحبة المتنبي شطرا لا يستهان به من العمر .

حسبي ان اشير الى بعض ابياته الشهيرة التي سارت مسير الشمس ، وترددت في كل شفة وعلى كل لسان ، وحفظها حتى من لا يحفظ الشعر ، ولا سيما ايام الاحتلال الفرنسي ، ومن منا لا يذكر قوله في ضرب دمشق بالمدافع من قمة جبل قاسيون ؟ :

يا يوم ايار والنيران ملهبة ... على دمشق تلظيها جلاميد
الطفل في المهد لم تهدأ سريرته ... مروع من لهيب النار مكدود

وقوله يوم عيد الجلاء ، وقد ارتفعت الاعلام العربية السورية ترفرف فوق كل مبنى ، وانطلقت الحناجر تردد الهتافات والاغاني والاناشيد الوطنية الحماسية :

أتكذب العين والرايات خافقة ... ام تكذب الاذن والدنيا اغاريد

وقوله منددا بالاستعمار الفرنسي الذي كم الافواه ، واخرس الالسنة ، واسكت الحناجر :

اخفض الصوت ولا تجهر به ... رب صوت هاج فينا الفتنا
عقدوا الالسن حتى صمتت ... ما ترى للقوم فينا السنا

وقوله في التذكير بالاوطان وتعلق الانسان بها الى حد بعيد :

اتبكي العنادل اوطانها ... ولا يندب الطير اوطانه

وفي رثاء فوزي الغزي :

بدمي وروحي الناهضين على الحمى ... الطالعين على العرين اسودا
الزاحفين الى القيود وملؤهم ... عزم يحل سلاسلا وقيودا

وفي دمشق التي ابت على مدى التاريخ ان تنام على ضيم ، او ترضى عن الذل ، وابت الا ان تظل عربية الوجه واليد واللسان :

لكن جلق في ازدحام خطوبها ... جبارة بكهولها وشبابها
لم تستنم لاذى فان هاجت بها ... دهم الخطوب اوت الى اقطابها
عركت عروبتها السنين فاقلقت ... عبث السنين بحدها وبنابها
ظل العروبة وارف في جلق ... متمكن في ارضها وسحابها

رحم الله شفيق جبري ، فقد كان علما يشار اليه بالبنان ، فلا اقل من ان نحتفل بذكراه كما احتفل هو بذكر غيره من ائمة العلم والادب ، ونوفيه جزءا من الدين ، ونرد اليه التحية بأحسن منها .

دمشق — **عيسى فتوح**



محمد العدناني

محمد العدناني الأديب اللغوي الشاعر

بقلم جميل بركات

* * *

عرفت الاستاذ محمد العدناني قبل خمسة واربعين عاما ، معلما قصير القامة مرفوع الهامة درّس ادب اللغة العربية وقواعدها في الكلية الرشيدية بالقدس وكان طلابه يتلقفون ما يقوله بيسر ، ففي طريقة تدريسه طلاوة تجذبهم للاصغاء اليه بأدب جم ، فلا اذكر ان احدا منهم قد سمع منه كلمة تكدر الخاطر .

كان الجد يغلب عليه اثناء تدريسه واذا صادف ان المادة في حصة ما جافة كما يحدث احيانا ، وشعر ان الملل قد تسرب لنفوس طلابه رماهم بنكتة خفيفة تعيد اليهم نشاطهم فيضحك ويضحكون ثم يواصل الدرس . واشهد انه خلق معلما ، فلم يكن طلابه ليحتاجوا لكبير عناء لتحضير واجباتهم لاستيعابهم لما كان يشرحه ، لهذا كان يطمع ان يزيدهم علما ومعرفة ، فاذا اقبلت العطل المدرسية طلب من طلابه ان يحفظوا عن ظهر قلب ما تيسر من اشعار المتنبي ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

كان رحمه الله ، عزيز النفس دمث الاخلاق ، مترفعا عن الصغائر ، محبا للخير ، تغنى بشعره باللغة العربية الفصحى وكان يردد بأن وحدة دولة الادب في امة العرب سابقة لوحدتهم السياسية .

نظم الشعر قبل ان يبلغ العشرين من عمره ولم ينقطع عنه في شيخوخته وقد عالج فيه مختلف الموضوعات الاجتماعية والسياسية ، وهو من اصحاب النفس الطويل الذين لا يشق لهم غبار ، شعره مزيج من الحقيقة والخيال ، يمتاز بقوة الصياغة ومتانة العبارة ، يؤثر في سامعه وقارئه ، لان عاطفته صادقة .

كان الشاعر العدناني الذي توقف عن التغريد الى الابد ملء السمع والبصر في شعره ونثره ، في خلقه وعلمه ، فهو موسوعة متطورة ، قل ان يفلت عدد من اعداد مجلة الاديب من نفحاته التي تثلج الصدور وتعمر القلوب بما فيها من افكار وآراء . وكنت حين تصلني هذه المجلة القيمة ابحث فيها اول ما ابحث عن اسم محمد العدناني استاذي الجليل لاقرأ له او اقرأ عنه ، فأطيب نفسا واهدأ روعا ، ثم اسرح بخيالي الى لقاءاتي معه التي نضبت اثر احداث لبنان الدامية منذ حوالي ست سنوات . وحين انقطعت عني مجلة الاديب ، واصبحت اندر من الكبريت الاحمر كما يقولون ، لم اعد اسمع عنه الا النزر اليسير من مسافر عابر او رسالة منه يحملها البريد ليس من بيروت مقر اقامته ولكن عن طريق احدى بلدان الخليج العربي او السعودية او مصر .. دون ان تضل الطريق ولكن هيهات هيهات !!

وعلى سبيل المثال كتب الي رسالة من بيروت يوم ٢٦-٩-١٩٧٩ اختتمها بالعبارة الاتية :

« سترسل هذه الرسالة من الامارات لكي اضمن وصولها ، لان بريدنا في دور الاحتضار الان ، واخشى ان يلفظ انفاسه الاخيرة لان جميع المجلات ومعظم الرسائل تضيع وهي في طريقها الي ، ولا حول ولا .. »

اما معظم رسائلي اليه فان الغيب يطويها ، فلله الامر من قبل ومن بعد !

في صبيحة يوم الجمعة تاريخ ٧ اغسطس اتصل بي هاتفيا الصديق الدكتور محمود ابراهيم عميد كلية الاداب بالجامعة الاردنية ، واعلمني انه تلقى نبأ وفاة استاذنا العدناني من بيروت ، وان الوفاة وقعت يوم الاربعاء ٥ اغسطس ١٩٨١ فعقبت على هذا النبأ بالآية القرآنية التالية ، والذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، فالعدناني كان استاذنا وصديقنا ووالدنا الروحي منذ ان تتلمذنا على يديه في الكلية الرشيدية بالقدس قبل اكثر من اربعة عقود ، وقد ظلت صلتنا به قوية راسخة لم تزعزعها الاحداث التي المت بفلسطين وشتتت اهلها تحت كل كوكب ولعل الفضل الاول يعود اليه ، وهنا يجدر بي ان اثبت قوله :

وما انا لولا الاصدقاء سوى فتى	عليه الرزايا الماحقات تصول
فاني بجسمي الواهن القلب واحد	ولكنني بالاصدقاء قبيل

موجز عن حياته

كان قد املى علي ما انقله كما ورد وهو انه ولد في مدينة جنين يوم ٢٦ اذار ١٩٠٣ وكان والده « فريد » حاكما لتلك المدينة في العهد العثماني ، وقد تلقى علومه الابتدائية في جنين وطولكرم وغزة ودوما ودمشق وصيدا . واتم دراسته الثانوية

في مدرسة الفنون الاميركية بصيدا. وعملا بوصية والده درس في جامعة بيروت الاميركية الطب لمدة سنتين ، ثم التقى بأمير الشعراء احمد شوقي في « عاليه » بلبنان وانشده معارضته لقصيدة ابن زريق البغدادي التي مطلعها :

لا تعذليه فان العــــذل يولعــــه ... قد قلت حقا ، ولكن ليس يسمعه

وعندما وصل الى قوله :

رايتــه عندهــا والدمع مضطرب ... الجفن يحبســه والوجــد يدفعه
فخلـت نفســك تدري ما ألم به ... يـوم الفراق ، ومــا تبديه ادمعه
وفي المآقي دموع لست تبصرهـــا ... وفي الضــلوع انـين لست تسمعه

قام شوقي وقبله من جبينه ، واصر عليه ان يترك كلية الطب الى كلية الاداب بالجامعة نفسها ، وعلى ان يصبح والده الروحي ، فنزل على ارادته ، وفاز بكلية الاداب عام ١٩٢٧ وسافر الى العراق واصبح استاذا في دار المعلمين العليـــا والثانوية المركزية ببغداد ، وكان من زملائه شاعـــر العراق معروف الرصافي ومربي العرب الاول ساطـــع الحصري ، والكاتب الفذ احمد حسن الزيات . ثم عـــاد الى فلسطين فاصبح استاذا في كلية النجاح عام ١٩٣١ ـ ٣٣ وانتقل بعدها الى القدس استاذا للادب العربي في الكلية الرشيدية مـــدة تسع سنوات ، واود ان اضيف على سالف ما ذكر ودوّن ، ما سمعته منه ، وهو انه بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ استقر به المقام في سوريا فدرّس في دار المعلمات وجامعتي حلـــب ودمشق، ولما رحل الى صيدا بلبنان عمل مديرا لكلية المقاصد مدة ثلاث سنوات ، وبهذا يكون قد امضى بمهنـــة التعليم حوالي اربعين سنة اعتكف بعدها متفرغا لمواصلة التحقيـــق والبحث عن الاخطاء اللغوية التي كان يجدها في الصحـــف والمجلات والكتب ، او التي كان يتلقفها من افواه المذيعين والخطباء وكان يعمل على تصحيحها ونشرهـــا تباعـــا على صفحات مجلة الاديب التي تصدر في بيروت ولها مكانة مرموقة لدى ادباء العربية . وقد جمع تصحيح هذه الاخطاء فيما بعد بكتاب ضم بين دفتيه ٣٦٢ صفحة سماه معجم الاخطـــاء الشائعة طبع عام ١٩٧٣ .

ولم يكتف بهذا الانتاج القيم الذي اشاد بفائدته العميمة رجال مجامع اللغة العربية وادباؤها فشرع بوضع معجم ثان لعثرات الادباء ، سماه بعد الانتهاء منه « معجم الاخطـــاء اللغوية المعاصرة » يقع في نحو الف صفحة ، وكان قد نشره على حلقات في مجلة الاديب ايضا .

آثاره الادبية

صدرت له سبعة دواوين من الشعر هي اللهيب ، ملحمـــة الامومة ، فجر العروبة ، الوثوب ، الروض ، إمير الشعراء شوقي ، كما دفع « ديوان العدنانيات » الى المطبعة وهو يضم اثني عشر ديوانا كما اعلمني في احدى رسائله ، وانه سيحاول ان يكون مضبوطا بالشكل دون اخطاء مطبعية او لغوية .

وفي النثر صدرت له قصة واقعية « في السرير » كما صدرت له سلسلة من قصص الاطفال في عشرين جزءا ولـــه عدة مؤلفات في النحو والصرف وله مخطوطات كثيرة منهـــا معجم الاسماء والمراة لغويا واجتماعيا وغيرها من البحـــوث والقصص . وقد قام عدد من الاساتذة الادباء بدراسة شعره ونثره منهم الدكتور صبحي عبيد من جامعة الجزائر ، كانت اطروحتـــه الاولى عن الشعر الوطني والقـومي عـن محمد العدناني . اما اطروحته الثانية للدكتوراه فهي « العدنـــاني باحثا واديبا » . ويقوم الدكتور عمر الاسعد عميد كليـــة الاداب بجامعة اليرموك باعداد كتاب عن ادب العدناني . كما ان الاستاذ احمد مطر من جامعة الاسكندرية فأطروحتـــه للدكتوراه عن القصة الفلسطينية قد تضمنت بحثا عـــن قصص العدناني .

وقبل النكبة عام ١٩٤٨ كانت الاديبة الكبيرة السيـــدة جميلة العلايلي قد اخذت منه دراسة عن القصة الفلسطينية لتضمها الى كتاب عنوانه « القصة في العالم العربي » .

اهتماماته الشعرية واللغوية

احب اللغة العربية الفصحى منذ نشأته حبا لا مزيد عليـــه وقد كرس حياته في خدمتها والعمل على رفعـــة شأنها في المجتمعات العربية قاصيها ودانيها فقد خاطب نفسه بقوله :

نشأت على هوى الفصحى صبيـــا ... ومع شعرائها خضت العبابـــا
ولـــم تـر غـــير آي الله وردا ... فـــراح اللــب يلتهم الكتابـــا

وفي مقدمة كتابه معجم الاخطاء الشائعة ذكر ما يلي :

اني لا ارى المجد اللغوي اقل قيمة من المجد السياسي للامة الصاحية حديثا من سباتها العميق ، كامتنا العربية ، لذا انصح الجميع قادتنا ان يوجهوا اهتماما كبيرا الى تقوية الفصحى ، والاقلال من اللغة العامية في الاذاعة والتلفزيـــون والمسارح ودور الخيالة (السينما) وضبط معظم الكتـــب والمجلات بالشكل التام حتى تصبح اللغة ملكة لدى القراء .

وفي رسالة ارسلها الي من بيروت بتاريخ ٢٦ـ٩ـ١٩٧٩ يعلمني بأنه سئل ايهما اهم في نظره نظم الشعر ام التحقيـــق اللغوي ؟ فيجيب :

انا اهتم بشعري اكثر جدا من نثري وتحقيقي اللغوي، وان كنت شهرت في العالم العربي والمحيط الجامعي بالنقـــد اللغوي ، لانني يخيل الي انني حتى الآن ما زلت وحدي في هذا الميدان ، بينما الشعراء كثيرون جدا . وانا لم انصرف في السنوات العشر الاخيرة الى التحقيق اللغوي الا لكي يكـــون شعري خاليا قدر استطاعتي من الاخطاء اللغوية ولكن الناس يجرون وراء النادر دائما .

نظرته للمراة

اهتم بالمراة اهتماما بالغا لايمانه ان الجنة تحت اقدام الامهات كما ورد بالحديث الشريف ، فشعره بالنسبة اليها كروضة

مليئة بالازهار والرياحين تعبق أريجا وتفوح عطرا، لهذا نظم بها ملحمة اجتماعية هي الاولى من نوعها في الادب العربي اطلق عليها « ملحمة الامومة » ، ومما جاء في مقدمتها :

المراة هي المصدر الاول لوحي رجال الفن وتبلغ اوج ايحائها عندما تصبح اما . ونظرة حنان واحدة ترنو بها ام الى فلذة كبدها هي اشد اثرا من كل ما في الطبيعة من مفاتن وما في الدنيا من جمال .

ولو خيروني بين ام وجنة — تفيض بسحر الحور لاخترت لي اما

شاء القدر ان تموت امه في مدينة الزرقاء في الاردن عام ١٩٤٩ وكان بعيدا عنها لاجئا في حلب ، ولما بلغه النبأ نعاها بقصيدة وجدانية مؤثرة من ابياتها :

طغى الهم حتى كاد يقتلني غما — فعم ابث الطرس مما دهى عما
نعى البرق لي امي الحنون فارعدت — ضلوعي وسحب الدمع زاخرها طما
اتاني وبي عمر الشباب وعزمه — وخلفني شيخا ثقيل الخطى هما
لقد جرعوا قلبي نعيك علقما — وما علموا ان جرعوا قلبي السما
قضى حزنا حتى غدا الصدر رمسه — وكل من الاضلاع من حوله رجما
أساه شردنا ففي كل مهمه — ضريح على من فيه اكبادنا تدمى
وفي كل بيت آهة ومدامع — وفي كل منكوب لها مهج كلمى

شعره الوطني

شب العدناني وتفتح عقله على ما كان يسمعه من ظلم لحق بني قومه العرب على يد سفاح تركيا جمال باشا الذي اعدم العشرات من زعمائهم ورجال الفكر منهم . وعندما اقيمت حفلة بمناسبة يوم ذكراهم على مقبرة الشهداء في بيروت في اليوم السادس من شهر ايار عام ١٩٢٧ كان طالبا في الجامعة الاميركية ، والقى بمناسبة هذا الاحتفال قصيدة عصماء ، وعلى اثرها اعتقله الفرنسيون وكادوا ان يخرجوه من لبنان ويحرموه من نيل شهادته في الاداب في تلك السنة لولا ان العناية الالهية هيأت له اسباب الخلاص .

ومطلع هذه القصيدة

كفكف دموعك، واشهد ادمع القلم — حمراء تهتك ستر الظلم والنقم
واسمع دوي نفوس ارعدت غضبا — على دخيل يداه التاثتا بدم

ومن ابياتها

يا ايها الشهداء الصيد، يا ارجا — من الفداء ، ويا بحرا من الكرم
يا من قضيتم فدى للعرب ان لم — في قومكم ذمما من اقدس الذمم
غدا فرنسا نفيها بتركية — ونشهد الثار سحق العرب للعجم
يا موت ، ان كنت لاستقلالنا ثمنا — فاهصر اليك بني قومي ولا ترم
وقل لكل شهيد عاف مهجته — ايقظت قومك من اغفالهم ، فنم

وقد واكب بعدها مسيرة العرب في نضالهم ضد الاستعمار فثار على وعد بلفور وعلى الانتداب البريطاني واهدافه الاستعمارية ومؤامراته ضد شعب فلسطين ، وقد صور في كثير من قصائده مظاهر الجبروت والتنكيل والتعسف ، وما لحق قومه من ظلم وتشريد وهوان ولجوء في عام ١٩٤٨ ثم نزوح في عام ١٩٦٧ ، وكيف ان هذا الشعب الابي يمزق ويشتت ويرغم على الجلاء بعد ان سلبت اراضيه ونهبت ممتلكاته عنوة ودون حق ، فدافع عن قضية بلاده بايمان راسخ وعزيمة قوية وحماس متاجج حاثا العرب على الاخذ بالثار وغسل العار مستنهضا الهمم وداعيا الى التضامن والاخاء ، مؤكدا ان نجاتهم من ظلم الطغاة المستعمرين هي في وحدتهم ومحذرا اياهم من الفرقة التي قد تدمر مصيرهم ، وطالبهم بأن ياخذوا بيد اخوانهم الذين اخرجوا من ديارهم مكرهين ، وان يبذلوا كل غال ورخيص في سبيل تحرير فلسطين قلب العروبة النابض، وفي قصيدته «اناة بني قومي» اشاد بنضال الشعب الفلسطيني وتضحياته الجسيمة . ومجد البذل ورثى الشهداء ووصف بلاده وصفا رائعا، جبالها وسهولها ونجودها ، مدنها وقراها واماكنها المقدسة ، في قصائد رائعة تنم عن عاطفة متوقدة صادقة ، وهذا نموذج منها :

قد كنت لي وردة طاف الرفيف بها — طواف رهط من الحجاج نساك
فبت بعد النوى اشكو اسى لاسى — والروح تائهة في غاب اشواك
ادير طرفي ، والارزاء تعصف بي — فلا تكحل اجفاني بمرآك
ايا فلسطين، يا قلب العروبة ، يا — مهد المنى، وملاذ البائس الشاكي
يا درة فوق جيد الدهر رائعة — وبلسما لجراح المدنف الباكي
وبنية الروح تصبيني خمائلها — اهواك، ما نبض ابن الصدر اهواك
امنيتي منك رمس بعد عودتنا — مظفرين فهل احظى بلقياك

هذه جوانب قليلة من كثيرة من حياة والدي الروحي الذي تغنى باللغة العربية وهام بها فكانت ليلاه التي تلازمه في كل نبضة من نبضات قلبه .

سكب الدمع غزيرا مدرارا على ما آلت اليه الحال بفلسطين ولكنه لم ييأس قط ومن اقواله المأثورة : ان الموت مع الشرف خير من الحياة مع عار الخيانة الوطنية . كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه حتى في احلك الساعات ، وكان ينطلق في روحه الى كل الآفاق ناصحا الانسان اي انسان بقوله المأثور :

لا تحصر تفكيرك في نفسك ، كيلا تضعها خلف ستار حديدي ، يعزلها عن الانام المحيطين بها . انطلق بها وبقلبك وعقلك الى العالم كله ، لان الله خلقك لتكون خلية في جسم الانسانية ، لا تعيش الا به ، ولا يعيش الا بها . رحمه الله فقد كان اخا وفيا لزملائه واصدقائه يحن الى اليهم ويهوى لقاءهم فقد كان علما شامخا في شعره ونثره وتحقيقه اللغوي ، ذهب ولم يعد ، ولكن آثاره خالدة باقية ما بقي الدهر لانه معلم اجيال .

ولما شعر بدنو اجله خاطب ربه متوسلا :

يا رب انجدني ولم جراحي — لم تبق لي سني قوى لكفاح
خارت من الداء العضال عزيمتي — وعدت علي جحافل الاتراح
ينقض كالقدر العنيد مجلجلا — ليفل بالارزاء حد سلاحي
فاجينه متوسلا كي تنثني — انيابه من فتكها الملحاح
وينوح قلبي طالبا اشفاقه — هيهات ينجو الكبش من ذباح
يا رب ! اني ضقت ذرعا بالدجى — فامنن على قلبي بنور صباح

عمان — الاردن **جميل بركات**

حول وحوش الغابة

انموذج « الادب الانساني »

*

بقلم الدكتور عارف تامر

***

قبل ان أعرفه تخيلته رجلا شارف او كاد على الخمسين من عمره .. قد صقلته الحياة بتجاربها ، واعطته من واقعها ، ووجودها ، واذاقته من حلوها ومرها .. ولم يكن يدور بخلدي انه لا يزال في ريعان الشباب ، يمشي حثيثا في دروب المستقبل نحو اهدافه ، وهو واثق من نفسه بالقدرة على الدخول في التجربة الصعبة ، وسبر اعماق المحرومين ، والمنبوذين في مجتمعنا ، وتصوير معاناتهم ، ومشاعرهم ، والوقوف امام المستغلين بجراءة لرصد جبروتهم ، وصلفهم ، وتعاليمهم .

انها سانحة جميلة ، او لحظة يتيمة .. ان يقع نظري على المجموعة القصصية « وحوش الغابة » للاديب الاستاذ دريد خواجه ، فاستهواني عنوانها الغريب ، ولم اشعر الا وانا افيء الى رحابها ، تشدني رغبة ملحة الى قراءتها واستجلاء مراميها ، وابعادها ، ومرافقة مؤلفها في افكاره ، وعطاءاته ... انا الذي توقفت منذ فترة طويلة عن قراءة القصص ، بعد ان رأيت الاسفاف ، والخلط ، والتقليد ، قد راج سوقه ، وعلا شأنه . ولا شيء في الحياة اقبح من التقليد .. يقتل المواهب ، ويعطل الادب ، بل ، ليس هناك افظع من ان نقرأ القصص ، ثم لا نخرج منها بنتيجة ، وتكون بالنسبة لنا احجية مغلقة ، او لغزا يصعب حله .

انني عندما اعرض جانبا من الجوانب الكثيرة التي ضمتها هذه المجموعة ـ واعني بها الجانب الانساني ـ اكون معذورا ، لانه من العسير جدا ان اتناول الجوانب الاخرى الكثيرة بالدراسة ، والنقد في صفحات محددة .. ومن هنا كان لا بد من القول :

بأن القصة لم تكن يوما من الايام الا فنا من فنون الادب الجميلة .. تحتل في اداب الامم المتحضرة المكان الاعلى ، وبقدر ما تكون القصة عميقة وواقعية ومعبرة عن ادب وحياة شعب من الشعوب بقدر ما يكون ادب هذا الشعب قد بلغ شأوا بعيدا من الرقي والتطور .

قال اديب فرنسي معاصر :

لكم ساءلت نفسي بعد ان فرغت من تصفح احدى القصص .. ماذا استقر في ذهني من مادتها .. هل فعلت في نفسي حوادثها ، ووقائعها .. وهل احسست بالرضى عن اشخاصها ، وادوارهم وهل شاركتهم آلامهم ، وافراحهم ؟

وقال سومرست موم :

قصتي اكتبها لكل الناس ، فهي ليست لطبقة خاصة ، وعندما اشرع بكتابتها اتخيل نفسي جالسا بين اصحابي اتحدث اليهم .. ان حديثي معهم هو لغة القصة ، وكم يهمني ان تأتي نقية خالية من الرموز والتعقيد .. اما الاشخاص فكثيرا ما توخيت ان يكونوا من القلة بمكان .. فتعدد الاشخاص وتوزيع الادوار يجعل القصة متشابكة ، ومعقدة ، ويفقد القارىء لذة الحفظ والاستذكار .

من المعلوم ان ارنست همنغواي كتب قصته المشهورة « الشيخ والبحر » عن حياة رجل كوبي صياد ماهر هرم يعاني من الفقر وشظف العيش .. فأعطاه المؤلف كل ما يملك من مواهب وقدرات ، ثم احاطه بكل ما يمكن من العطف والحنان ، ليجعل منه بطل القصة ، وقد تجلى في ذلك الابداع ، والفن ، والدقة في التصوير .. فهل كان همنغواي نفسه صياد سمك فقيرا . ام انه تعرف الى تجارب صيادي السمك في كوبا من خلال اقامته الطويلة فيها ، فرافقهم واستمع اليهم ، ودرس ما في افكارهم ، واخيرا عرف كيف يصف معاناتهم وحياتهم في قصته القيمة التي نال عليها جائزة نوبل .

وفيكتور هوغو عندما كتب قصته « البؤساء » قيل انه عاش فترة طويلة بين هذه الطبقة ، ورافقهم وخبر احوالهم وشعورهم ، حتى استطاع ان يصور احاسيسهم تصويرا دقيقا بعبارات مؤثرة تدخل الى الاعماق ، مما اكسبه الاعجاب والتقدير .

من هذه الزاوية .. اقول : بأن مؤلف « وحوش الغابة » لا بد ان يكون قد عاش في بيئة مترعة بينابيع البؤس والشقاء .. فخلفت في نفسه هذه التجربة اكثر من علامة ، ودفعته الى تلوين ايامه بطموح ابداعي ، وتفتح على الانسان المقهور ، وعلى ما يعانيه من الام في حياته ووجوده .

فقصصه كما نرى استمدها من الحياة .. من الواقع .. ثم حققها بدقة .. وصور فيها ما يحدث من ظلم وقهر على الانسان المحروم اللامنتمي ، وكأني به وضع

نفسه مكانه ، ولهذا جاء تصويره للاحداث وللوقائع ولاحلام هذه الطبقة المحرومة ، ولآمالها في الحياة الحرة الكريمة ابدع ما يمكن ان تجود به قريحة كاتب ، واعتقد انه لم يغفل ان يتخذ من التجربة الذاتية مادة لهذه القصص ، وربما ، او على الارجح استعان بتجارب الاخرين لان التفاعل مع هؤلاء شرط اساسي للصورة الانسانية . فالانسان في مطلق الاحوال لم يكن الا كائنا اجتماعيا يستمد مقوماته الحياتية من انتمائه الى البيئة التي يعيشها ، وبقدر ما تكون ادوات الاتصال بالاخرين ناشطة ومتاحة بقدر ما يكون هذا التفاعل مؤثرا . من جهة ثانية فربما كانت التجربة سيان عند الكاتب الفطن الشديد الملاحظة وفي هذه الحالة ، وبالرغم من كافة العوامل ، فانها تكون اشد رسوخا في النفس ، واقرب الى الفكر .

لا يظنن احد بأني اكيل المديح للاديب دريد خواجه ، او ارسل الكلام على عواهنه .. انها كلمة قصيرة اردت ان اقولها في مجموعته القصصية ، وسيان عندي رضي ام غضب .. فالمهم ان يطمئن ضميري .. فنحن نكاد نختنق من هذا الدخان الكريه يتصاعد كل يوم ليعمي ابصارنا ، ويشوه واقعنا الاجتماعي والادبي .. نحن طلاب ادب ، وفن ، وابداع .. نريد النور والدفء ، لا للجسد الذي سيفنى يوما ، وانما للبقاء ، للديمومة .. للخلود .

في القصة الاولى (ثلاثية البيض ـ استدعاء) يقدم لنا المؤلف « واقعة » من صميم الحياة .. من قلب المجتمع الغارق في ديجور الظلام .. ولكن هذه القصة لم تكن جديدة علينا ، ففي هذا المجتمع ، وفي كل يوم تقع قصص تفوقها عنفا واثارة ، ولكنها تدور في فلك استغلال الانسان للانسان ، وجبروت القوي المتسلط على الضعيف .. هذا صحيح .. ولكن المقدرة تتجلى في الصياغة ، والتصوير ، واخراج الشكل ، وهذا ما نجده ونلمسه ونتذوق طعمه.. ولا بد لي من الاشارة الى ان المؤلف عرض في هذه القصة، وفي بعض القصص الاخرى بضع كلمات عادية « دارجة » . ولا ادري سبب استعمالها ، ووضعها في هذا الحقل الابداعي ، وبين الجمل الشاعرية العذبة ؟ مثل : (تعبت .. ما خليت وسيلة .. استح واحترم كبرتك .. الخ) ، فمثل هذه الكلمات لا اراها مستساغة في هذا المكان .. خاصة والمؤلف يعلم ان للقصة المتميزة عباراتها، وسياقها ونغمها ، وجرسها .. فالناس في كل مكان وزمان يتأثرون بالكلمة الرقيقة ، ويؤخذون بالبيان السهل الواضح .

ان الاحداث ليست بنظري هي التي تجعل القصة مرغوبة ، وقريبة من القلب .. بل هناك السرد ، والحبك، والايراد ، والانتقال ، والارتباط للاجزاء ، وللجمل في شكل يكون الدور الاول في وجوده كما في قصة : (ماسحات الزجاج) . من جهة اخرى، وفي بعض الاحيان نرى المؤلف يلغز بدلالات معينة ويبقى عندما يكون في صدد التعبير عن فكرة .. ثم لا يلبث ان يعود فيعطينا جملا قصيرة مزجية معبرة عن فكرته التي تكون في حاجة الى توضيح بياني وتصريح ، مما يثري التقنية القصصية باتجاه التشويق والشمول .

وفي (الجورة من ثلاثية المبيض) يقدم لنا المؤلف ايضا احد العمال الذين قدر لهم ان يعيشوا في هذه الجورة .. جورة المبيض ، ثم يحملنا الى عالم هذا البائس ، ويجعلنا نحس بآلامه وحرمانه ليس في الرزق والعيش ، وانما من المراة ذلك الكائن الحي الذي خلقه الله ليكون رفيقا للرجل ، فالمراة في نظر الانسان لم تخرج عن كونها ذات قيمة غالية ، او جوهرة يجب الحفاظ عليها .. وهذا الرجل «محمد علي الصوراني» كان مسلوب الحرية في بيته :

(اضع حذائي حيث اريد .. اغتسل متى اريد .. البس ما اريد .. آكل لقمتي بحرية .. احدد حجمها، ونوعها ووقتها ، وانام) .. انه الصوت المدوي الذي انطلق من عالم الالم ليحكي قصة المضطهدين المنبوذين من المجتمع .. والى جانب ذلك يعبر عن امنيته الوحيدة بالحصول على امراة تقف الى جانبه كما قلنا ، وتعيش معه في هذا المجتمع الذي ضاعت فيه العدالة والحرية .. عن انثى تبادله الحب البريء ، وتشاركه رحلة العمر ..

(اللعنة على معلمي لقد شقيت من اجله ، حتى كدت افنى ، ومع ذلك وحتى هذه الساعة يقسم بعشرتي انه ما زال يبحث لي عن زوجة) .

فمن هو هذا المعلم الجائر ؟.. انه احد المتسلطين على الايدي العاملة .. على الفقراء .. على المسحوقين .. يستغل قوتهم ، ويبني على اكتافهم ثروته وحياته .. وما اكثر هؤلاء في مجتمعنا .

وفي « الاثر » يحملنا المؤلف الى دنيا من الابداع بايجاز مكنوز ، ونغم جديد يسكر النفس عندما يكون الحس على وشك التفلت ، والظل على وشك العبور :

(يملأ ابو سليم السطل الى ان يطفح دون ان ينسى نفسه من بعض الرشاشات المتتالية يغمر بها عنقه وصدره .. ايه اشرب يا سواد .. اشرب .. ار رحلتنا شاقة ، وستظل ابدا كما كنت)

اعشاب متلاصقة عذبة ، وحديثة النمو ، حركها الريح كأطفال يأخذ بعضهم بأيادي بعض .. ثمة عصفور يزقزق فوق رأسه المشتعل ، والبساتين تدحرجت امامه مثل زبرجدة يتعاكس وهجها .. كان النهر يجري في تدفق .. وخصب من جريانه دمه .. في صدره ما يشبه دوي الريح) ..

هذا الوصف لابي سليم وحياته مع حصانه يتضوع نغمه ، وينسال معناه .. انها كلمات شعرية رقيقة تكاد تكون انموذجا فريدا في عالم القصة .

وكما قلنا ، فان القصة ـ اية قصة ـ اذا لم تدخل

الى اعماقك ، وتستولي على مشاعرك ، وتستقر في ذهنك، فليست قصة .. اما لدى المؤلف فهي السحر والجمال ، والانشاء المقرون باللون ، والصدى ، والصورة للمعاناة، ولحياة المقهورين .. ضحايا المجتمعات المتكالبة .

وفي « ماسحات الزجاج » يصور لنا المؤلف الحالة النفسية للانسان في غربتها ، ووحدتها ، وحرمانها ، واحوال الجسد في غربته وفقدان امله من المراة ، ولا يقف عند هذا الحد ، بل يصور لنا المراة ايضا التي تشكو من الضياع .. ففقدان الحب ، وقسوة الوحدة ، والاغتراب حالات عاشها المؤلف عندما كان في المغرب .. ولا ريب انه ذاق طعم هذه الغربة ، وهذا الحرمان .. ولو لم يكن ذلك لما جاءت قصته طافحة بالجمال، ونضج التجربة، والوضوح والاشراق .

(سيارات المسافوبن تناطح ، مثل وحش اسطوري .. جبال المطر ، وجدارات الظلام ، والضباب ، واسرار فراغ الفضاء الرمادي في يوم عاصف عابس) . (من يدري اين يجرنا قبطاننا العتيد في هاتيك الساعات الباكية .. ايتها الانثى وحدك معي تدخلين ساعات العمر) ...

(تصورت بدويتي فقط في لباسها المغربي تفيض انوثة بزينتها الكاملة ، وبفمها العبيري ، وهو ينفتح ، وينغلق ، وهو يصدر بحاتها الانثوية الشجية ..

ما اجمل هذه العبارات .. وما اطرفها .. « فم عبيري » الله .. الله .. انها تدخل الى اعماق القلب ، وتسكر الروح بخمرة الجمال ، والبيان .. انها المعاناة بقالب براق ، وثورة جديدة ، وعطاءات لا تجف ، وافصاح عن المأساة .

وفي « ممنوع التنجيم » .. حوار راكب مع صاحب الحافلة .. الذي يفرض ارادته ، ويعلن عن جبروته ، واستبداده ، ويحتمي بالوقت ذاته بالقانون الذي يمنحه الهيمنة ، وفرض الارادة :

(الجو خارج الحافلة الرابضة بارد ورطب .. مما اجبر من فيها الى ان يتجمع في المقاعد الامامية ، ويحكم اغلاق المنافذ) .. (انتم تهذرون بالقانون ما دام يناسب مصلحتكم ، وبعد ذلك فليحترق العالم ..)

يا لها من حقيقة .. فالاقوياء في جميع الاحوال يتخذون من القانون ستارا لجبروتهم ، ويسخرون في سبيل اطماعهم ، ومقاصدهم .

واخيرا : في قصة (اوراق الليل والنهار) : يعطينا المؤلف صورة واضحة عن حياة معلم مدرسة متزوج وله طفل .. ثم يقدم لنا حوارا شيقا بين الزوج، والزوجة ، وطفلهما الصغير .. وحوارا اخر مع تلامذته .. وذلك باجمل ما في العربية من الفاظ :

(فككت ربطة عنقي .. حياني التلميذ مودعًا .. شعرت بثقل في قدمي ، وبندوب تتقيأ في راسي..ابتسامة صفراء مرائية على وجهي ، وانا ارد التحية) .

هذه الحياة .. لو لم يكن المؤلف قد عاشها، وخبرها وذاق طعمها ، لما استطاع ان يصوغها ويلبسها هذه الحلة الوجدانية ، وهذا الثوب البياني الرائع الذي ياخذ بمجامع القلب .

بعد هذا العرض الموجز ، عن الجانب الانساني في بعض قصص المجموعة .. لا ادري ماذا علي ان اتحدث ، فاية واحدة قراتها يطالعك العبير ، ويمثل امامك الروائي المالك للزمام ، القادر على التعبير عن المعاناة ، وشعور المحرومين ، ومأساة الانسان الضائع في مجاهل الحياة .

فيا ايها الاديب ..

حسبي ان اكون قد قمت بقسط من واجبي نحوك، ولكني لا اعتقد باني قد سددتك الحساب كاملا .

لقد وفيت لمن وفى .. وغنيت لمن غنى ، ورافقت الطائر المفرد ، وهو على اغصانه ، وفي مرابع « مدرسته القصصية » الجديدة ، والطافحة باللالىء والجمال .

عارف تامر
السلمية ـ سورية



اكرم زعيتر

شاعر العربية بدوي الجبل

بقلم اكرم زعيتر

* * *

احبة قلبي ان بعدتم فما نأى   عن القلب لا الذكر الملح ولا الحب
على طيفكم اغمضت عيني والتقى   صيانا له في مقلتي الهدب والهدب

بدوي الجبل

واقبل ولدي ممتقعا ، وهمس في اذن امه .. فاكتأب وجهها ، فتطيرت وادركت منهما ، رفقا بي ، يحاذران صدعي بنبأ اليم ، وسألتهما عما يفزعهما فلبثا واجمين .. ثم دفعا الي « النهار » وفي صدرها مقال بقلم الرئيس تقي الدين الصلح عنوانه : « بدوي الجبل » ، وكدت اصرخ : مات بدوي الجبل .. لولا هتاف اوس بن حجر :

ايتها النفس اجملي جزعا   ان الذي تحذرين قد وقعا

واستنجدت بالعبرات فما اسعدت ، وبالآهات فما اسعفت .. واقمت له في خاطري مأتما .. وخطبت في المأتم ، ذكريات غاليات ، وتنافست في رثائه مما احفظ له من قصائد رائعات ، ابكت فؤادي ولكنها جففت عيني ! واورت كبدي ولكنها عصبت لساني ..

ثم تناولت المرثاة ، ورحت اترشف مع الرئيس الصلح من سطورها الحزن الوديع على اخي الكبير وشاعري الاثير .. حتى اذا بلغت من المقال وصف استقبال هنانو وسعد الله ورياض في رحاب الله اخاهم ورصيفهم وشاعرهم وراثيهم انبجست عيناي من فرط التأثر ، وتذكرت مصاير ذاك الجيل ووفاء البدوي لذاك الرعيل ، وهتفت بلسانه :

اين اين الرعيل من اهل بدر   طوي الفتح واستبيح الرعيل

ثم على سنة البدوي القائل :

مسحت دمعي من ذكراهم بيد   وامسكت كبدي الا تذوب يد

وتذكرت لقائي الاخير اياه في دمشق ، وقد نهكه المرض وبدا عياء ، وتعثر نطقه .. وكانت رفيقة حياته تفصح عما أستبهم من كلماته ، واما بشاشته فذكرتني بقوله في بشاشة هنانو في مرضه :

تلك البشاشة ابلى الداء نضرتها   فراح يلمع في نمالها الكمد

ووالله ما برح بريق عينيه في ذلك اللقاء ينبىء بصفاء مودته ، ونقاء سريرته ، ووقدة ذهنه ، وكهربية عاطفته ، وكأنه يصف نفسه :

يروع في مقلتيه بارق عجب   وعالم عبقري السحر منفرد
يغالب البشر اسقاما نزلن به   يأبى له الكبر ان يأسى لها احد

وقبلته مودعا .. وسألته عما يأمر ، فكانت كلمته الاخيرة : « رضاك ! » وقضيت امس من مطلع الفجر حتى اذان الظهر في صحبة البدوي ونجواه .. وتمليت رسائله الي ، وقد اربت على الاربعين ، وقضيت في هذا المنجم البياني ساعات نتساقى فيها كؤوس الوفاء ملاء .. وجددت رسائله ذكريات اخاء اربع واربعين سنة ، ارجو ان اني لها بكتاب ، واوزع على دنيا الادب من رسائله الاخوانية ما يرون كيف يحلق النثر الفخيم مع الشعر العظيم . وهانذا اجيء بقبسين من رسائله : فقد كتب الي قبل اربع وعشرين سنة رسالة تعزية بشقيقي الاكبر واستاذي عادل ولعل ابلغ ما اقوله اليوم في « البدوي » قوله بالامس في شقيقي : « .. هؤلاء الذين نفقدهم من احبائنا ، أحقا انهم انتهوا وانطووا ؟ ام واقع الامر وجوهره اننا نعيش فيهم ونطوف جزءا صغيرا دقيقا في عالمهم الكبير الغني بالطيوب والاحلام والذكريات .. هؤلاء الذين فقدناهم ما اقربهم الينا عينا ساجية ، ورنوة حالمة وابتسامة ناعمة ، وصمتا وكلاما وهناءة اسارير وكآبة ملامح . هنا في سرائرنا مغان مأهولة بهم . هنا في سرائرنا نسكب لاحبائنا كؤوس الحنان ليترشفوها نهلة نهلة . هنا في سرائرنا ننمنم لاحبائنا انغام الجنان ليستعيدوها اغرودة اغرودة . هنا يعيشون على الشهي من لباناتنا وعلى المصفى من صباباتنا .. ان النسيان هو المنية ، فما ابعد احبابنا عن المنية ، اعني عن النسيان . هنا في قصورهم السندسية وخمائل هواهم ومساحب الذيول تنفح بالطيب . وكل ما يتخيلونه من نعيم وزهر وربيع وشباب وترف فكر وترف حضارة .. » وقد ختم رسالته بعد سطور من بيانه المعجز بهذه الاطايب من العبارات : « لك الله يا اخي ابا سري .. انني لاتسرب مع احزانك الى وجداذ فتروعني فيها الوان من الجمال مقطوفة على طلة الندى من سدرة المنتهى . ألوان من الحزن مجلوة بزينتها وفتنتها ليشهدها الله بين جراح الشهداء ، ودموع

المؤمنين المستغفرين في الاسحار كلها ـ واحزانك بينها ـ تتبرج لتصل الى الله رائعة وسيمة ولتنسكب على الاديم القدسي اورادا من خميلة، واورادا من عبادة. ان الحزن ليحب الوجدانات الرفيعة وينأ بها غدوة وروحة. حتى ليصبح جزءا منها او تصبح هي جزءا منه. كل عبقري في الدنيا ينزل الحزن على وجدانه نزول الكريم على الكريم. فيختلط الدمع بالعطر والكآبة بالاريحية. احزان.. احزان احلى من حور الجنة، وحزنك بينها اصفاها نميرا، وانداها عبيرا. انني اسكب احزاني في وجدانك لتستعير منه بعض الجمال. بعض السحر. بعض الرحيق المصفى، واريد ان تسكب احزانك في وجداني لتستعير منه بعض السلوان ولا اقول النسيان.. وقد يكون السلوان احيانا امر في قلوبنا من الاحزان. واقسى على قلوبنا من الخطوب ويا ايها الذاهبون سلوا الله بنعمته عليكم في جواره، وبمحنته لنا في فراقكم. سلوا الله ان يندي قلوبنا باللوعة الهادئة والدموع الوانية. ولا تسألوه ان يمنحنا النسيان.. فلو الم بنا خاطرة منه لطفنا بقبوركم نجدد هوانا ونستغفر اسانا».

واما القبسة الثانية فمن رسالة مفاضة بعث بها الي من مغتربه في جنيف لا انفس ولا اروع ولا ابلغ من حديثه فيها عن الذكريات اذ يقول: «ان صداقتك واحة في صحراء، وانا المتعب المكدود، افيء الى ظلالها واعب من سلسالها فاذا بعدت بي المتاهات عن هذه الواحة وافتقدت شذاها لم افتقد رؤاها ولم اغب عن ذكراها. والذكريات ملك يدي لا ملك الدهر. انها الكنز الذي لا يفنى والنعيم الذي لا يبلى، وما كان اقسى الحياة لدى هذه الذكريات الحبيبة تنور في صحاري العمر افياء وافنانا، وترف في وقدة الهجير روحا وريحانا، وتحنو في غمرة المحنة هداة وامانا. ولك عندي من الذكريات دنيا بليلها ونهارها، وشموسها واقمارها، وبسيطتها وبحارها، وهذه الدنيا على سعتها وشمولها مكنوزة في خيالي، موجزة في قلبي، تضيق حينا فاذا هي قارورة عطر وتتسع حينا فاذا هي زرقة بحر، وانا اشم العطر منها اذا ضاقت واملك البحار ولآلىء البحار اذا اتسعت». ويا لروعة قوله: «وانا في الغربة والمحنة والسقم اعيش في الذكريات. بعضها اطيب من الكرى على العافية بعد السهد.. وبعضها لم يخلق النسيان الا رحمة من الله ليعفي عليه.. وفي بعض هذه الذكريات اخوان طوتهم القبور، واخوان طواهم الغرور، وفي بعض هذه الذكريات اشتات من حسن ودمامة. منها غدر قريب، وجفوة حبيب، وتنكر صديق، وتكبر عظيم.. ولكل واحدة من هذه الذكريات مكان في قلبي يتفق مع جوهرها، وينسجم مع عنصرها، فللذنب الصديق العذر، ولخيلاء العظيم الكبر، ولنعمة الله الشكر، ولمحنة الايام الصبر! وذكرياتك بينها هي الصبيحة المليحة دائما، الوسيمة الكريمة ابدا، الندية الوفية سجية..».

وبعد فاني اختار اليوم من الذكريات ثلاثا تتصل باسمه ولقبه وميقات نظمه: كان الشاعر «محمد سليمان الاحمد» في صدر يفاعته يرسل شعره الى جريدة «الفباء» الدمشقية، ولم يكن على قدر من الشهرة يناسب شعره، وحدث ان هز العالم نبأ المناضل الايرلاندي ماك سويني محافظ مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجود الانكليز في وطنه صياما حتى الموت، وسبك صلاة لبني وطنه، ثم قضى صائما ـ شأن العشرة الايرلانديين الذين قضوا هذا العام صياما ـ فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية، وبعث بها الى «الف باء» مع تحية شعرية لروح الشهيد، وفي اليوم التالي رأى قصيدته مذيلة بتوقيع «بدوي الجبل» فسعى الى صاحبها الاستاذ يوسف العيسى يسأله عن السبب فأجابه: «ان الناس يقراون للشعراء المعروفين، ولست منهم، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقرأوا الشعر للشعر، وان يتساءلوا: من ذا يكون هذا الشاعر المجيد؟ وانت في ديباجتك بداوة، وانت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب.. وانت ابن الجبل» وتوالت قصائد «البدوي» ونقلتها صحف في لبنان شادية بها، والناس يتساءلون: عمن يكون؟ اهو خير الدين الزركلي او هو خليل مردم بك وهما شاعرا الشام آنئذ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الادباء واعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر: «هوذا بدوي الجبل: انه محمد سليمان الاحمد». وراح البدوي يشدو، وهم في نشوة مما يسمعون.. وغلب اللقب على الاسم حتى حل محله في البيت وخارجه. ولا ازال اذكر انه حين يمم القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني العربي سنة ١٩٣٨ لاجل فلسطين ـ وكنت فيها ـ كان يتلقى لكل اجتماع او حفلة بطاقتين احداهما معنونة: «سعادة بدوي بك الجبل» وثانيتهما: «سعادة النائب محمد سليمان الاحمد».

وكنت اول من اطلق على بدوي الجبل لقب «شاعر العربية» واذكر انني استشهدت في خطاب لي في مهرجان الجلاء عن لبنان سنة ١٩٤٦ ببيت «لشاعر العربية» من دون ان اسميه:

الزغاريد فقد جن الاباء   من صفات الله هذي الكبرياء

ثم لقيت في القاهرة استاذي اديب العربية اسعاف النشاشيبي فسألني: «من ذا الذي اطلقت عليه «شاعر العربية»؟ فاجبت: «انه بدوي الجبل» فتطلق وجهه وقال: «اي والله انه اجدر شاعر بهذا اللقب.. اي والله» فقلت: «وهل يكرس» اديب العربية وامامها هذا اللقب؟» فبادرني الى القول.. «وانقل اليه هذا.. انقله.. اكتب اليه» وفعلت فكتب الي البدوي: «اما شهادة امام العربية الاكبر، امامنا النشاشيبي، فهي والله تعدل عندي كنوز الدنيا.. انا اعلم انني لا استحقها

ولست في السبيل اليها ، ولكن فضله وتفضله ، ورعايته لي وعطفه علي » وعندي ان سراوة البدوي كلفته هـذا التواضع ! فهو يعرف انه شاعر العربية وهو القائل :

الخالدان ـ ولا اعد الشمس ـ شعري والزمان

والقائل :

اني اكرم شعري في متارفه كما تكرم عند المؤمن السور

اما ميقات النظم وموعد الالهام فلي مع الشاعر تجربتان تدلان على انه لا يملك ان يقول الشعر ساعة يشاء وان الشعر هو الذي يمتلك الشاعر ، وطالما سمعته يقول : « الارادة بنت العقل والشعر ترجمان القلب ، اذا لم يجئني الشعر عفوا تعذر علي استحضاره اقتسارا » .

في خريف سنة ١٩٤٠ ، وقد احتل الالمان باريس ، قرر نادي « المثنى » ببغداد ، وقد كنت من مؤسسيه ، الاحتفال في التاسع من شعبان بذكرى الثورة العربية التي اطلق الحسين بن علي رصاصتها الاولى ، واردناها مناسبة ندعو فيها لتجميع القوى القومية ، ومواجهة الاحداث بخطة محكمة وعزيمة ماضية، ورجوت «البدوي» ان يكون شاعر الاحتفال ، فاعتذر فالححت في الرجاء فاصر على الاعتذار فهامست نفسي : « لا بد من اثارة عاطفية تحل عقدة من لسان الشاعر » وانطلقت اتحدث : « فرنسا التي نكلت بسورية ، فرطت في اسكندرونة . دمرت دمشق . وانت هنا مشرد تترشف رزقك مدرسا، وابوك الشيخ الجليل يتحرك لوعة الا يراك . اخوانك : يوسف العظمة ، رشيد طليع ، احمد مريود ، فؤاد سليم من ضحاياها ، الجزائر ، المغرب ، تونس ما فعلت فيها ؟ يا لله هل كنا نحلم ان يمتد بنا العمر فنراها تذوق ما اذاقتنا ؟ وابو الثورة انصفته حيا فهلا انصفته مدفونا في جوار الاقصى ؟ وعلى هذه الوتيرة استرسلت متأثرا ، الى ان برقت عيناه ، وبريق عينيه صدى نبضات فؤاده ، ودمعت عيناه ، ودموع البدوي مطالع القصيدة او هي كلماتها النثيرة ورشح جبينه بالعرق ، وانصرف يهمهم ، وأرق تلك الليلة ، وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود شخصت ابصار الحشد في النادي الى البدوي وارهفت الآذان فانطلق :

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا   رق الحديد وما رقوا لبلوانا
خل العتاب دموعا لا غناء بها   وعاتب القوم اشلاء ونيرانا

وماج النادي حين جلجل الشاعر :

اني لاشمت بالجبار يصرعه   طاغ ويرهقه ظلما وعدوانا
سمعت باريس تشكو زهو فاتحها   هلا تذكرت يا باريس شكوانا ؟
عشرين عاما شربنا الكاس مترعة   من الاذى فتملي صرفها الآنا

ومن ابياتها :

وللجياد صهيل في شكائمها   تكاد تشربه الصحراء الحانا

ومنها :

تغضي على الذل غفرانا لظالمها   تانق الذل حتى صار غفرانا

وقد هربت القصيدة الى الاقطار العربية ، وتغلغلت في بلاد الشام وقيل ان الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة فوجىء بها تتسلل الى زنزانته في جزيرة الشيطان بافريقية.

★ ★ ★

وفي الذكرى السنوية الاولى لاستشهاد الزعيم رياض الصلح دعي خطباء وشعراء من المغرب ومصر والعراق ولبنان وسورية الى رثائه ، وألى كوني المنتدب للقول باسم فلسطين ، فقد رجوت « البدوي » ان ينظم مشاعر سورية والعرب شعرا ، رصيفا للشاعر اللبناني الاثير امين نخلة ، فاجابني وقد بدت عليه ربكة : « آه .. رياض من كرياض ؟ لكنني لا ادري هل يأتيني الشعر بعد ساعة او يوم او اسبوع .. ويمكن الا يأتيني ابدا ، فاذا رضي علي اله الشعر ـ او شيطانه ، لا ادري ـ اديت الواجب نحو عظيمنا الراحل ، والا فمعذرتك والاخوان وعفوكم » . واقترب الموعد ولما يساعفه الالهام ثم حدث ان توفي في بيروت صديق البدوي الوطني الكبير عادل العظمة ونقل الى دمشق جثمانا بعدما حرمها عيانا، وكان موكب التشييع الى المقبرة متواضعا ، مما شجا الشاعر وتذكر ـ والشجا يبعث الشجا ـ مصرع رياض في عمان دموعا .. وبدأ يهمهم بالشعر وواتاه المطلع الاروع :

دموعا .. وبدأ يهمهم بالشعر وواتاه المطلع الاروع :

لا تسلها فلن تجيب الطلول   المغاوير مثخن او قتيل
موحشات يطوف في صمتها الدهر   فللدهر وحشة وذهول
غاب عند الثرى احباء قلبي   فالثرى وحده الحبيب الخليل

وراح يومين في غيبوبة شاعر يختمر فيهما الحزن شعرا .. مجد رياضا واستبكى الامة والتاريخ ، وتذكر مصارع رفاق رياض من اخوان الشاعر ، وناجى ربه بأروع ما تكون المناجاة ، ودافع عن الرعيل الاول، وعاتب الشام عتابا عبقريا لجحود السلطان صناديدها البدريين .. وكانت آهة الختام :

اين اين الرعيل من اهل بدر   طوي الفتح واستبيح الرعيل !

★ ★ ★

والحديث عن الشاعر العظيم اسلوبا واخيلة ودباجة لا يتسع له مقال وقد لا يتسع له كتاب واحد ، ولكن ابياتا من قصيدته في ذكرى هنانو ـ وقد تراصفنا في الخطابة فيها سنة ١٩٤٥ ـ تختصر الان ما ارجو ان افصله في الاتي من الزمان :

اطل على الدنيا عزيزا : اضمني   اليه ظلام السجن ام ضمني القبر
وما حاجتي للنور ، والنور كامن   بنفسي لا قفل عليه ولا ستر
وما حاجتي للافق ضحيان مشرقا   ونفسي الضحى والافق والشمس والبدر
وما حاجتي للكائنات باسرها   وفي نفسي الدنيا، وفي نفسي الدهر
ونفسي لو ان الجمر مس اباءها   على بشرها الريان لاحترق الجمر

عن جريدة الشرق الاوسط ـ لندن

اكرم زعيتر

دمعة الشعر المهجري على ضريح بدوي الجبل

بدمائي بكيته ، بدمائي   يعجز الدمع ان يخط رثائي
لوعة الشعر لوعتي ، فاقراوها   في متاهات نظرتي الخرساء
باعدت بيننا المسافات ، لكن   كان ادنى من الصدى للنداء
نصف شعري فواجع ومراث   كيف يطوو لسامعي غنائي
كلما غاب في التراب حبيب   انشب الموت ظفره في ردائي
لا تفشنك الدموع فليست   دمعة اللهو غير قطرة ماء
عقني الاقربون ، لا ذنب الا   انني لم اعق عهد الاخاء
جرحهم لم يزل طريا ، ولكن   كل جرح على المدى لشفاء
نم قريرا يا شوك وامرح بروضي   انت في جيرة الندى والوفاء
لن يحيد الغدير عنك اذا ما   طاف بين الزنابق البيضاء
لن يرد العبير عنك حجاب   كل من في حديقتي اصدقائي
تربتي خصبة ، ومائي نمير   وقريب لناظريه حبائي
في فؤادي للحب الف بناء   ان يكن للجفاء نصف بناء
انا انسى شر العدو ، ولكن   لست ارتاح للصديق المرائي
كلما مر ذكره اربد افقي   غير اني اظله بولائي
خير اصحابك الذي لا يداجي   فتجنب صداقة الادعياء
ليس يعدي الرياء ، لكن قبيح   ان يعيش التقى مع الفحشاء
كم بعيد يعيش مني قريبا   وقريب هو البعيد النائي
ليس ادنى الورى شقيقي اذا لم   يك عوني على صروف القضاء
خيبت ظني الليالي ، ولكن   لم تنل من كرامتي وابائي
ازرع الزهر في الصباح واجنيه   قتادا على دروب المساء
جل عن باطل الكلام لساني   وتعالى عما يشين حيائي
ما تعودت ان اموه ذاتي   فامامي يشف عما ورائي
انا راض من الحياة بحظي   قانع من هباتها بالرجاء
لم تطب للنفوس خمرة شعري   لو خلا من متارف الكبرياء
لست ثلجا تذيبه الشمس، لا بل   انا شمس الظهيرة الحمراء
قوتي انني ضعيف امام الله   عف السلوك مع اعدائي
تستطيب المديح اذني ، وان لم   اتالم لترهات الهجاء

★ ★ ★

ايها الشاعر الذي جنح الحرف   واحيا جزالة القدماء
والذي علم الطيور فطارت   بجناحين من سنى وسناء
والذي نمق الرياض بما في   شعره من نضارة ورواء

والذي زوق الملاحم تروي ... ما بناه الآباء للابناء
والذي ارسل الشوارد تجلو ... صور الحسن تحت كل سماء
والذي استنبت البشاشة في ... الصخر ، وروى حرارة الصحراء
والذي طوق النجوم بعقد ... خالد من بيانه الوضاء
والذي جاز حلبة المتنبي ... واقتفى خطو سيد الشعراء (١)
حز في النفس ان يصيبك سهم ... غاص – لما نعوك – في احشائي
نؤت بالداء وارتفعت قريضا ... كيف زاوجت بين شعر وداء ؟
لم تزل آيك السنية تهدي ... خطواتي في الليلة الليلاء
كلما طاف في ضلوعي غم ... لا يداوى ... وجدت فيها دوائي
بشذاها الندي تسكر روحي ... وبنعماتها ابل ظمائي
كل حرف منها جناح ظليل ... في طريقي ، وكوكب في فضائي
خانني في فجيعة الشعر شيطاني ... فواخجلتاه من « غلوائي »
كم بكت مهجتي ، ولم يبك جفني ... لا يقاس الأسى بفرط البكاء

* * *

يا سليل العلى يحييك شعب ... ليس ينسى فضائل العظماء
خضت من اجله غمار المنايا ... شامخ الراس ، ناظرا للعلاء
تتحدى نار الدخيل بكبر ... لم يرد في معاجم الدخلاء
كلما اشتد بطشه ازددت باسا ... واندفاعا على دروب الفداء
بيد ترفع اليراع سراجا ... وباخرى تهز سيف القضاء
يعلم الله كم شربت اجاجا ... وافترشت الرمال في البيداء
ذاك عهد مضى ... ولكن سيبقى ... خالد الذكر في سجل العطاء
خط فيه «الحسين» (٢) اول حرف ... وزكا جنيه بيوم الجلاء

* * *

يا ابا الزهر من قواف وولد ... لا تدعني في حيرتي العمياء
مد لي راحة من الخلد انهض ... من عثاري ، وتنتفض اشلائي
انا ميت لولا بقية روح ... كيف يبكي ميت على الاحياء ؟
كيف يبكي فتى القريض المجلي ... شاعر ضاع في حروف الهجاء
كيف يرقى الى النجوم جناح ... نهكته لوافح الرمضاء ؟
اين مما خلفت ما خلف الطاغي ... واين الثرى من الجوزاء ؟
ساء فال الذين صالوا بسيف ... وكبت خيلهم بباب « حراء »
طبع السيف للدفاع عن الحق ... ونصر الحمى ودفع البلاء
زرعوا حولك العيون ، وبثوا ... ظلمة الليل في طريق الضياء
عبثا حاولوا اكتسابك بالمال ... تعاليت عن مهاوي الثراء
ليس عارا ان يملك المال ندب ... الهة المال حبسه في وعاء
وطأة القيد لا تهون على الحر ... ولو صيغ من خيوط ذكاء
عجزوا عن شراء ودك بالحسنى ... فمالوا للقوة الرعناء
خاب عزريلهم ، فللبيت رب ... صانه من مكايد الجبناء

* * *

قال : مهما قسا علي قريبي   لن ابادي عداه بعداء

ما انا من يلوك لحم ذويه   ان جفوني ، وامعنوا في الجفاء

عثرة الرجل قد تكون وبالا   تشتكي منه سائر الاعضاء

هكذا يصفح العظيم ليحمي   شعبه من غوائل الارزاء

* * *

طال بعدي عن الديار ، فهلا   يسر الله عودة الغرباء

غربة الجسم ارهقتني ، ولكن   غربة الروح ضاعفت اعبائي

انا في السجن منذ فارقت اهلي   رحمة يا زمان بالسجناء

ليس قيدي كغيره من حديد   انه قيد لهفتي العجماء

اذكر الله في دعائي ، ولكن   اذكر الموطنين قبل الدعاء

يوشك الشوق ان يقرح جفني   اجزل الله في البلاء عزائي

اين تلك الآمال تفرش دربي   بالرياحين ، بالشذا ، بالبهاء

ذهبت كالهباء ، لم يبق منها   غير ذكرى على جناح الهباء

* * *

يا صديقي كشفت سر القوافي   حبذا لو كشفت سر الفضاء

وقف العقل حائرا ، فانرني   طال تيهي في الليلة الظلماء

.   .   .   .

.   .   .   .

هل يلاقي المحروم ما يتمنى   من رخاء ... ام تلك دار شقاء

ضاق في البحث والتساؤل باعي   يا الهي هلا غفرت هرائي

* * *

هللي يا ملائك الخلد زهوا   نقل الشعر عرشه للسماء

شرف ان نكون للحرف جندا   نفتديه بما غلا من فداء

ما تغنيت باسم « غلواء » لولا   انها من حصونه الشماء

من شذا الشعر تستمد شذاها   اتراها سليلة « الخنساء »

كل مجد اساسه البغض عار   كيف تبنى العلى على البغضاء

زادكم للبطون ، لا لعقول   لم تجد في قصوركم من غذاء

الف كسرى انطووا وما زال «قيس»   خالدا في مدامع البؤساء

يا صديقي برى الفراق ضلوعي   واحنيني اليك يوم اللقاء

---

(١) هو احمد شوقي .

(٢) هو الشريف حسين بن علي

بوانس ايرس ـ الارجنتين   زكي قنصل .

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

الاسلام والتجديد في مصر – الفه الدكتور تشارلس آدمس نقله الى العربية عباس محمود ، قدم له الاستاذ مصطفى عبد الرازق – لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، القاهرة تاريخ مقدمة المؤلف ١٩٣٢ ، تاريخ مقدمة المقدم وخاتمة المترجم مارس ١٩٣٥ .

١ – موضوعه الرئيس محمد عبده مع مقدمة عن جمال الدين الافغاني ولاحقة عن تلامذة الشيخ محمد عبده ومريديه والمتأثرين بأفكاره على وجه من البحث العلمي والاناة والتقدير .

٢ – ورد وصف ثورة احمد عرابي مرة على انها حركة ص ٤٩ ، ٥٠ ، ١٩٨ ، ٢١١ ، ومرة على انها فتنة ص ٢١٣ ، ١٠ واحسب ان كلمة « فتنة » غير دقيقة ، حتى مع التسليم باختلاف الشيخ محمد عبده مع وجهها العسكري .. لانها ثورة باعتراف المؤلف الذي كرر لفظ الثورة هذه .

٣ – ص ٧ « السيد جمال الدين الافغاني ولد عام ١٨٣٩ في اسعد آباد بالقرب من كابل بأفغانستان » ..

وفي ذيل الصفحة : « ... أما الرواية الفارسية فتذهب الى انه ولد في قرية بهذا الاسم بالقرب من حمدان في ايران » .

أ – من الصعب على اللسان الافغاني ان يلفظ العين؟

ب – اسم القرية الفارسية اسد آباد وهي بالقرب من همذان .

٤ – هامش ص ٢٦ « جورجي زيدان .. مشاهير الشرق » : جرجي ..

٥ – ص ٢١٥ « احمد لطفى السيد بك » : احمد لطفي-بك السيد .

٦ – ص ٢٢٩ « وتقول الانسة « مي » في المقابلة بين قاسم (امين) وباحثة البادية (ملك حفني ناصف) : انه انكار يدل ايضا على انها لم تنصفه ، ولا اجرأ ان اقول انها لم تفهمه » .

لا اجرا : لا اجرؤ .

٦ – ص ٢١٣ « ويروي رشيد رضا ان السيد عبد الله نديم اشتهر من بين تلاميذ جمال الدين بخطابة التهييج في عهد الثورة العرابية فكان يسعر نارها ، ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها ، فانه ذو خلابة وغلو ، ولا يهيج العامة الا الغلو » .

احسب انالكلام يضمن بيتا من الشعر لابي العتاهية يحسن بل يجب ان يكتب هكذا :

ولم تـك تصلـح الا لـه　　　ولم يـك يصلـح الا لهـا

٧ – مما يفيد الدارس الادبي ان يعلم انه « من حضر دروسه الخاصة – اي دروس الشيخ محمد عبده – التي كان يتناول فيها الكلام على المسائل الفلسفية اسماعيل صبري باشا – ص ٢٠٥ » .

ويعلم : « من تلاميذ الشيخ محمد عبده .. ومن اكثرهم قربى اليه محمد بك حافظ ابراهيم .. » ص٢٠٧ ومن تمام خبر حافظ ابراهيم ص ٢٠٨ – ٢٠٩ « وفيسنة ١٩١١ اسند الى حافظ ابراهيم منصب في دار الكتب الملكية ، وقد اشتغل حافظ بالترجمة ايضا وراض قلمه عليها ، فقد حاول ان يترجم جزءا من « مكبث » ويصوغها شعرا عربيا ، ولكنه لم يوفق توفيقا كبيرا ، ثم شاقه كتاب « البؤساء » الذي الفه فيكتور هيجو فنقله الى العربية » .

أ – البك هو حافظ وحافظ اسم الشاعر ، ولدى التركيب يكون اسمه محمد حافظ ، ويقال – حينئذ – محمد حافظ بك ابراهيم .

ب – كان اسمها دار الكتب المصرية ، وقبل ذلك دار الكتب الخديوية او الكتبخانة الخديوية ، وعين الشاعر رئيسا للقسم الادبي فيها .

جـ – لم يكن علم حافظ باللغتين الانكليزية والفرنسية ما يؤهله للترجمة ... ولا بد من انه كان يستعين بالعارفين ، هذا الى انه لم يترجم – باسمه – من البؤساء الا جزءا يسيرا من اصل الرواية الضخمة .

(٢)

رسالة المنبر الى الشرق العربي – فليكس فارس – المقدمة موقعة هكذا : الاسكندرية في اول سبتمبر سنة ١٩٣٦ ، فيليكس فارس رئيس الرابطة العربية في الاسكندرية .

١ – ص ٣ : العروبة وتتكرر في الكتاب للدلالة القائمة على الاعتزاز بالعرب والعمل على استنهاضهم ووحدتهم مرتبطة بفكرة القومية .. تنظر ص ٦ .

ومعلوم ان هذه المعاني جديدة – اي بنت العصر الحديث – لهذه اللفظة . ويمكن ان ينتفع باستعمال

فليكس فارس في هذا التاريخ ١٩٣٦ وما قبله ، من يبحث في نشوء هذا المصطلح (العروبة) وتطوره في دلالته السياسية ..

٢ – ص ٢٣ « ان شجرة النبوغ لا تعتلي في بلادنا .. ما لم تتغلغل جذورها في تربتنا » .

استعمل تعتلي فعلا لازما بمعنى تعلو ، وكررها ص ١٨٢ ، « اعتلى قلبه الى دماغه » . علا وصعد . والمستعمل الصحيح : اعتلاه ، متعد .

٣ – ص ٢٧ « اطاء ارض مصر » : اطا .

٤ – ص ٣٨ محاولة لتعريف « الثقافة » وهو – كانه – يحصرها بالفطرة وانها لا تتعلم فهي – بهذا – تختلف عن العلم ..

واستعمل «العواطف والاميال» وهكذا كان «الرواد» يجمعون كلمة « ميل » على « اميال » ، اما الذين جاءوا بعدهم فقد هجروا ذلك « الجمع » واستعملوا «الميول».

٥ – المؤلف معتز – غاية الاعتزاز – بقومه وباللغة العربية ، ومما يسجل له هنا ، ما جاء على ص ٧٣–٧٤ ، « ان عددا كبيرا من ناشئتنا الحديثة يفتخرون بجهلهم اللغة العربية ويدعون التفوق بالافرنسية او الانكليزية او سواهما ، وانا اؤكد لكم ان امثال هؤلاء المنشئين يبقون ابدا في مرتبة وضيعة بين ارباب البيان من الكاتبين بلغة جدودهم واني اعرف من رفاق الشباب جبران خليل جبران والريحاني من العرب كتبوا بالانكليزية واعرف شكري غانم وخيرالله خيرالله من الذين كتبوا بالافرنسية فاجادوا وصفق لهم الغرب والعالم الجديد ، ولكن مثل هؤلاء العباقرة الذين قلما يجود بمثلهم الزمان لم يشتهروا بصفاء لغتهم وفصاحة تعبيرها قدر اشتهارهم بروح من الشرق هبت بين سطورهم فاعجب بها العالمان . فما كان جبران والريحاني الا رسولي الادب الشرقي الصحيح كلا منهما على طريقته لدى ابناء المدنية الآلية الجبارة ، وما اشتهر غانم الا برواية عنترة كما ان خير الله لم يشتهر الا برواية مجنون ليلى وبما عقد عن الشرق من فصول » . « العالم الجديد » هو اميركا ، وكان المصطلح كثير الاستعمال ثم تضاءل وانقرض او كاد .

٦ – الكتاب (رسالة المنبر ..) مصدر من مصادر دراسة فوزي المعلوف ، ومصدر اهم في دراسة جبران خليل جبران (قال ص ١٥٤ : عرفت جبران سنة ١٩٢١ اثناء وجودي لمدة سبعة اشهر في الولايات المتحدة ، فالتقينا كأننا على عهد قديم » . وقد قرا كتاب ميخائيل نعيمه عن جبران فما ارتضاه فاطال مناقشته اذ راى تزيدا ونهجا روائيا يعتمد على الخيال والاختلاف الكبير بين المشربين ، بين الروحي والمادي : « فكأن نعيمه ، وهو نفسه الاديب الكبير الذي مضى حياته بالسعي وراء المال متاجرا ومضاربا في بلاد الجهاد المادي العنيف .. ما كان ليرضى عن جبران الا اذا ... جال في الازقة مستعطيا – ص ١٩١ – ١٩٢ » لقد استغرق البحث ما بين ص ١٥٣ – ٢٢٥ وكان فليكس فارس عارفا بميخائيل نعيمة صديقا له وربما خاطبه بميشا .. ويبدو ان حرصه على اللياقة حال دون التصريح باشياء يعرفها ، وحال – كذلك – دون وضوح قصده احيانا .

٧ – ياخذ على شكري غانم في « روايته » التمثيلية: عنترة بن شداد انه ادخل ذاته بالمسرحية فلم تكن–بالتالي– رواية عنترة .. وسجل المأخذ نفسه على شوقي برواية « مجنون ليلى » « فاذا المجنون .. يحمل في صدره قلب شوقي وعلى لسانه بيان شوقي » ص ١٦٠ – ١٦١ «وهذا كتاب نعيمة في جبران ، اقلب صفحاته فيذكرني بغانم المتعنتر وشوقي المتقيس » .

٨ – ص ١٥٩ « كلام يعزيه المؤلف الى جبران » : يعزوه .

٩ – ص ١٦١ « تطغو » : تطغى .

١٠ – ص ١٦٣ « المآذق : المآزق – وهو من الخطأ الذي يقع فيه الطباع المصري (واللبناني) اذ يطبع ما يلفظ .. (بعاميته) .

ومثلها ص ١٨٠ « تطلع اليها مذدريا » : مزدريا .

١١ – ص ١٩٣ معائب : معايب .

١٢ – «رسالة المنبر » تدل على الخطب ..وفيلكس فارس من دعاة العروبة التي لا تفرق فيها الاديان .. وفي الكتاب قصائد القاها المؤلف في مناسبات .. وهي مشربة بالفكرة الرئيسة التي صارت ضميره الذي ينطلق منه والحق الذي يحرص عليه، وفي كلامه على جبران يدل على انطلاق من دافع الحق والوفاء للحقيقة .

١٣ – يجهل كثير من الشباب المعاصر « فليكس فارس » لذا حسن ان ننقل سطورا مما جاء عنه في « اعلام » الزركلي : « فليكس فارس ١٢٩٩ – ١٩٣٩ كاتب ، من الخطباء . له نظم حسن . ولد في احدى قرى المتن بلبنان .. واصدر في بيروت جريدة « لسان الاتحاد » سنة ١٩٠٩ .. وسافر الى الاستانة وعاد منها الى حلب .. وسافر الى اميركا سنة ١٩٢٠ ، وعاد فاستقر في الاسكندرية رئيسا للترجمة في مجلسها البلدي سنة ١٩٣٠ واستمر الى ان توفي بها.. له كتب ..وترجم عن الفرنسية « رولا – ط » من شعر الفريد دي موسيه ، و «اعترافات فتى العصر – ط» وهكذا تكلم زرادشت ط.

وراى الزركلي ان « رسالة المنبر الى الشرق العربي» افضل ما كتب .

ونذكر – بالمناسبة – ان « هكذا تكلم زرادشت » ، و « اعترافات فتى العصر » قد اعيد طبعهما في هذه الايام وربما اعيد طبع الاول اكثر من مرة .

١٤ – في رثائه للكاظمي قال ...

ليعجب ابناء الزوال بخالد   يمر فينو منهم وهو خالد

(٣)

عباس محمود العقاد ــ ردود وحدود . القاهرة ، دار حراء ــ ط ١ سنة ١٩٦٩ .

١ ــ من المقدمة « هــذه المجموعة من المقــالات والابحاث كان .. العقاد .. يكتبها في مجلة « الرسالة » . وقد اخترنا لهذه المجموعة من مقالات استاذنا الراحـل عنوانا هو .. عنوان احداها راجين ان تأخذ مكانتها بجوار اخوات لها سبقوها الى القراء .. ــ عامر العقاد » .

أ ــ صحيح سبقوها : سبقتها .

ب ــ تتراوح تواريخ المقالات المثبتة بين ٢٠ــ١٠ــ ١٩٤١ ــ ١١ يونيو ١٩٤٥ .

٢ ــ لا يجد القارىء المعاصر اشياء مهمة في هــذه المقالات ، بفعل الزمن . هذا الى ان الاعوام المذكورة من اعوام اواخر تاريخ « الرسالة » وقد كانت تسير بانحدار .

٣ ــ بين العديد من مقالات الكتاب ــ ومقالات العقاد الاخرى ــ تتميز مقالة « عيد ميلاد » ص ١٤٥ ــ ١٥٠ بطراوتها التي تقربها او تدخلها في المقالة الابداعية .. بعيدة عن المقالة التعليمية التي يريد لها صاحبها ان تكــون بحثا صغيرا ..

(٤)

الحب في التراث العربي ــ د. محمد حسن عبد الله ــ الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ٣٦ ، المحرم ــ صفر ١٤٠١هـ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠ م

١ ــ ذكر المؤلف في مصادره مخطوطات مهمة قــد يكون هو المؤهل للعمل على تحقيق الاهم بينها ــ استكمالا للبحث وخدمة للتراث ..

٢ ــ ص ٣٦٥ ــ ٣٧٠ « مراجع البحث » . ثرية ومتنوعة ، وقد يفتقد القارىء دواوين الشعراء مثل عمر بن ابي ربيعة ، جميل ، كثير .. توبة ، ليلى الاخيلية ــ ولا يجهل المؤلف هذه الدواوين .. وغيرهــا الشريف الرضي ، العباس بن الاحنف ، ابن عربي ، ابــن الفارض .. وفي « الامالي » .. اشياء نافعة .. وقد ورد الاغاني عرضا في حاشية ص ٣٤٥

٣ ــ ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩ اخوان الصفا وماهية العشق .. قال الشاعر :

اعانقهـا والنفس بعـد مشوقـة اليها ، وهـل بعد العناق تداني ؟

الشاعر هو ابن الرومي ..

٤ ــ و « في المراجع العربية » يمكن ان يقول القائل اذ يرى « الجواري .. الحب العذري » : و اين « الحب العذري لموسى سليمان ، بيروت ١٩٤٧ ، ١٩٥٤ ؟ » ويتذكر كتابا للدكتور مصطفى عبد الواحد بعنوان « دراسة الحب في الادب العربي » وقد صدر الجزء الاول منه ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٢ .. ويمكن ان ينتفع دارس الموضوع بكتابي الدكتـور البصـير : عصر القرآن ، وفي الادب العباسي ..

٥ ــ يحس القارىء بان المــادة لدى المؤلف غزيرة ولكنه مضطر الى التكثيف بسبب من مقتضيات السلسلة التي يمكن ان يعمل على تحديدها الحجم والقارىء الذي تخاطبه .. وربما كان التكثيف من دواعي « اهمــال » الحب الصوفي .. زيادة على عامل اهتمام المؤلف بالنثر اكثر من اهتمامه بالشعر لان النثر كثيرا ما اهمل في دراسة « الحب » .

(٥)

الاتجاهات الادبية الحديثة ــ ر. م. البيرس ، ترجمة جورج طرابيشي . منشورات عويدات ، بيروت ــ باريس ط ١ سنة ١٩٦٥ ، ط ٢ سنة ١٩٨٠ ــ سلسلة زدني علما

١ ــ نقول ، لدى الدقة ، انه لم تصدر الطبعة الاولى ١٩٦٥ بهذا العنوان ، وانما صدرت بعنوان « الاتجاهــات الادبية في القرن العشرين » وهو عنوان مطابق في ترجمته للاصل ، فقد كانت كلمتا « القرن العشرين » فيه . ولم تصدر الطبعة الاولى في السلسلة ..

٢ ــ ان كلمة « الحديثة » الواردة في العنوان الجديد لا تقابل ، لدى الاصطلاح في الاستعمــال الادبي كلمتي « القرن العشرين » ، فالقرن العشرون هو القرن العشرون واولى بأدبه ان يعرف باسم « الادب المعاصر » ، اما ما كان قبل ذلك ، وربما ، لدى التحديد ، منذ الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر فهو الذي يعرف عادة بالادب الحديث ، وقد صار هذا الحديث قديما بالنسبة للقرن العشرين .

(٦)

المسرح ــ الدكتور محمد مندور ، دار المعارف بمصر ، سلسلة فنون الادب العربي ــ الفن التمثيلي ــ ١ ، القاهرة ١٩٥٩ .

١ ــ ص ١١ « الجواب على هذه الاسئلة » : عن .

٢ ــ ص ١٣ « .. العرب القدماء .. نقلوا الى لغتهم في العصر العباسي الكثير من التراث العقلي لليونــان .. وكان من الممكن ان ينقلوا .. الادب التمثيلي ويأصلــوه عندهم » .

صحيح يأصلوه : يؤصلوه .

٣ ــ ص ٢٧ ــ ٢٨ «يقول جورجي زيدان عند حديثه عن مارون النقاش .. وشخص .. الى ايطاليا .. وحضر فيها تمثيل الروايات على المراسح .. »

أ ــ جورجي : جرجي .

ب ــ كانت « المسرحيات » ايام زيدان : الروايات ، والمسارح : المراسح ..

٤ ــ ص ٣٠ « فرقة سليم النقاش ابن اخ مارون » .

الصحيح : ابن اخي مارون .

٥ ــ ص ٣١ « فرقة يوسف خلاط » : خياط .

٦ ـ ص ٣٢ « الشهير بأبي نضـارة » ، ص ٣٥ « ابو نضارة » ، ص ٣٦ « ابو نظارة » .

وهكذا وردت الكلمة مرة بالضاد ومرة بالظـاء ـ والصحيح « ابو نظارة » .

٧ ـ من الفوائد ان نعلم ص ٤٣ ان الاستاذ امين الخولي هو مؤلف رواية « الراهب المتنكر » التي «عرضت على مسرح الاوبرا ثلاث مرات في موسم ١٩١٦ وكان كاتبها المتنكر .. عندئذ تلميذا بمدرسة القضاء الشرعي ولم تكن تقاليد تلك المدرسة تسمح بأن يكتب طلابها للمسرح » .

٨ ـ ص ٤٤ « وفي سنة ١٩١٦ بدا نجيب الريحاني .. يشخص . »

كانت كلمة يشخص تعني يمثل .

٩ ـ ص ٩٣ « بعد وفاة شوقي باحدى عشر سنة تقريبا ظهر .. عزيز اباظه .. »

احدى عشر سنة : احدى عشرة سنة .

١٠ ـ ص ١١٨ « الف محمد تيمور المسرحيات الاربعة » .

الاربعة : الاربع .

(٧)

قرون الهجرة ، سلسلة احاديث يذيعها من الكويت الدكتور حسن حبشي ، لمناسبة بدء القرن الخامس عشر للهجرة .

ورد في حديثه الذي قدمه في ٢٨-٢-١٩٨١ مساء ـ وموضوعه حروب سيف الدولة الحمداني مع الروم :

أ ـ العقد (ويقصد ما يحتوي على عشر سنين) بكسر العين ، والصحيح بفتحها، والفرق بين الكسر والفتح كبير ، « والعقد بالكسرة القلادة » .

ب ـ استشهد (قتل في الحرب في سبيل فكرة او رأي أو وطن ..) بفتح التاء وفتح الهاء ، والصحيح : استشهد بضم التاء وكسر الهاء « على ما لم يسم فاعله » ـ كما ينص المعجم .

جـ ـ همدان (المدينة فى بلاد العجم) بسكون الميم ودال : صحيحها بفتح الميم وذال .

(٨)

دكتور شوقي ضيف ـ الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ـ القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٧ ـ سلسلة مكتبة الدراسات الادبية ـ ٧١ .

١ ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ «خلا لك الجو فبيضي واصفري» يضربونه مثلا للشخص لا يجد اي حائل بينه وبين حاجته وهو مأخوذ من قول طرفة في قبرة :

خلا لك الجو فبيضي واصفري ... ونقري ما شئت ان تنقري

تنظر « قصة » المثل في « مجمع الامثال » للميداني ، حرف الخاء « خلا .. »

٢ ـ ص ١٣٢ « وكان المؤرخون للادب .. يسمون الحقب التالية لذلك ـ لسنة ٦٥٦ للهجرة ـ حتى العصر العثماني باسم عصر المغول . وهو صنيع خاطىء .. »

أ ـ من سماها باسم عصر المغول من المؤرخين على وجه التخصيص.؟ زيدان . ولدى الزيات العصر التركي ، وفي المفصل : العصر التركي (عصر المماليك) ، وفي المنتخب (عصر المماليك ..) ، وفي الوسيط عصر الدول المتتابعة (التركية) ..

ب ـ معنى خاطىء : آثم ، وهو ما لا يريده المؤلف، لانه ليس في موقف من يرمي بارتكاب جريمة اخلاقية .

٣ ـ ص ١٤٢ « مراثي الحسين .. ومن اهمها مراثي الشريف الرضي .. ولا نشك في ان هذه القصيدة كان ينوح بها الناحة لعصر الشريف .. وان الناس كانوا .. ينوحون بها »

الناحة : النائحون .

والذي ورد في القاموس المحيط : « نساء نوح ـ بفتح النون وسكون الواو ـ وانواح ونوح ـ بضم الميم وتشديد الواو ـ ونوائح ونائحات » .

وفي عناية القاموس بالنساء ما يدل على ان الامر كان لدى العرب ، مقتصرا عليهن . واستعمال الدكتور ضيف لجمع المذكر (الذي يمكن ان يشمل كذلك المؤنث) يدل على « جديد » في العصر ، وتبقى الحاجة الى النص على المصدر قائمة اقصد النص على ان الرجال (والنساء) كانوا ينوحون بمراثي الشريف الرضي في عصر الشريف نفسه .

وقد يكون من المفيد ان أذكر اننا ـ في العراق ـ ادركنا من المواكب الحسينية من يردد من شعر الشريف الرضي :

كربلا ، لا زلت كربا وبلا ... ما لقي عندك آل المصطفى

كم على تربك لما صرعوا ... من دم سال ومن دمع جرى

كان ذلك في النصف الاول من القرن الرابع عشر (العشرين) وراثة من القرن الثالث عشر (التاسع عشر) ـ والموكب الذي يردد، ينطلق من تميز خاص اذ يستعمل الفصحة ..

٤ ـ ص ١٤٢ « ومن الرثاء السياسي الديني بالعراق وما وراءها من ايران رثاء مدن الشام منذ اواخر القرن الخامس الهجري حين كانت تسقط في ايدي حملة الصليب المغيرين من الغرب .. وحين سقطت في ايديهم القدس سنة ٤٨٨ .. رثاها كثير من الشعراء العراقيين والايرانيين وغيرهم .. من مثل قول ابي المظفر الابيوردي من ميمية طارت في الافاق :

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات ايقظت كل نائم

أ ـ اين نجد .. رثاء مدن الشام هذا ؟ ـ ان وجد !

ما المقصود بالايرانيين ؟ وهل هـو من مصطلـح القرن الخامس؟ ؟

ب ـ وقع قول الميمية سنة ٤٩٢ ـ ينظر كامل ابن الاثير .

ج ـ يمكن ان يتطرق شك في نسبـة الميميـة الى الابيوردي .

د ـ ما الدليل على انها طارت في الافاق ؟

٥ ـ ص ١٤٦ « واكبر شعراء الغزل العفيـف في العصر ببغداد الشريف الرضي وتلميذه مهيار .. واشتهر الاستاذ وتلميذه بطائفة من الغزليات تسمى الحجازيـات والنجديات .. »

ا ـ الحجازيات فقط ـ ولم اجد في حدود علمي ـ من سمى هذه القصائد بالنجديات .

ب ـ والاسم مختص بقصائد معينة للشريف الرضي ـ ولم اجد في حدود علمي من سمى قصائـد لمهيار بالحجازيات ..

ج ـ اما ان يكون لمهيار قصائد تذكر مواقع من نجد او الحجاز .. وتتخذها مسرحا لغزله .. فذلك صحيح ولكنه شيء اخر غير التسمية الاصطلاحية (التي اختصت بحجازيات الشريف) .. وقل مثل ذلك عما في شعر الشريف الرضي من ذكر لمواقع من نجد .. والمسألة مسألة المصطلح وليست مسألة ذكر المواقع ..

(٩)

عدو المجتمع Misanthrope تاليف موليير ترجمة محمـد بدران ومحمد عبد الحافظ معوض ، القاهرة ، مطبعـة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٩ .

من مقدمة المترجمين

١ ـ « الرواية التي نقدم ترجمتها لقراء العربية من عيون تاليف موليير » .

ا ـ كذا يستعملان « الرواية » بدلا من المسرحية ، شأن الرعيل الاول ممن عني بالمسرح بوجـه وآخر .. وسمى شوقي مسرحياته روايات .. وهكذا .

وترد « الرواية » في المقدمة سبع مرات ولا تعني غير ما يعني بها الجيل الحالي من المسرحية . اما الرواية فقد استقرت في الجيل الحالي للدلالة على « القصـة الطويلة » .

ب ـ ربما كان الاصح ـ او الصحيح ـ في قـوله « من عيون تأليف موليير » : « .. تآليف .. » بالمد بدلا من الهمز .

٢ ـ « وقد ترجمت بعض روايات موليير الى اللغة العربية .. ولكننا لم نقف بعد على ترجمة عربية لروايـة « عدو المجتمع » .. »

هذا صحيح ـ حتى تاريخ المقدمـة ـ وبدلالـة « دراسات في المسرح والسينما عند العرب » تأليف لنداو وترجمة احمد المغازي ، الهيئة المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ ص ٤٧٥ . وقد يكون عجيبا بعد الذي لقيه موليير مـن اهتمام الرواد ترجمة واقتباسا ـ ينظر ليندداو ص ٤٧١ ـ ٤٧٤ . علما ان لنداو ص ٤٧٥ لم يقف على العنوان الصحيح للترجمة العربية فقـال : ترجمناها « بمعنى الحقود » !

٣ ـ من محاسن المترجمين ومن علميتهما (النادرة) نصهما على اللغة التي ترجما الرواية (المسرحية) عنها ، فقالا : « نقلا عن ترجمة انجليزية حرفية مشهورة » ـ وليكن القارىء ـ بعد ذلك ـ على علم او حذر . انهما لم يترجما عن اللغة الاصلية للرواية (المسرحيـة) وهي الفرنسية .

(١٠)

اوديب ثيسيوس ـ من ابطال الاساطير اليونانية . تاليف اندره جيد ، ترجمة طه حسين . بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٦٨ (اما الطبعة الاولى فكانت ١٩٤٦، القاهرة ، دار الكاتب المصري ؟) .

١ ـ في البحث عن تاريخ المصطلحات الحديثة للادب العربي .. نلاحظ في المقدمة التي كتبها طه حسـين ان مصطلحاتنا المسرحية لما تستقر وانها ظلت على اقـلام « الرواد » غير ما آلت اليه بعدهم او استقـرت وكادت تستقر عليه ..

ا ـ ان طه حسين يتحدث في هذه المقدمة القيمـة المسهبة (ص ٧ ـ ٤٠) عن المسرح ، والمسرحية ، ولكنه لم يذكر هاتين اللفظتين قط . وانما قال : « ملاعـب التمثيل » (ص ١٤) و « الملاعب » (ص ١٦) وقـال « الملعب » (ص ١٩) .

وهو يريد بذلـك : مسارح ، ومسرح ـ مـع ان اللفظتين معروفتان في عصره وقبل عصره (وقالوا : مرسح في لبنان بخاصة) .

اما « المسرحية » و « المسرحيات » فاستعمل لهما القصة، والقصص، وربما قال « قصة تمثيلية » (ص ١٧، ٢٠) وقال : « قصص تمثيلية » (ص ١٨) .

وهو فيما عدا ذاك وفي السائد من كلامه يقـول : « قصة اوديب » (ص ١٧) و « سارتر .. في قصـة الذباب .. » (ص ١٩) و « ويصورها لنا سوفوكل في قصة « اوديب ملكا » ، ولكنه يصورها تصويرا اعظم روعة واكثر جلاء في قصته الاخرى « اوديب في كولونا » .. » (ص ٢٢) و « .. سوفوكل حين كتب قصتيه » (ص ٢٣) « اما كورني فقد كان مفتونا بقصتـه .. » (ص ٢٤) « فالفكرة الاساسية في قصة اندريه جيد هي اعتـداد الانسان بنفسه » (ص ٢٩) .. الخ . ونلاحظ معاصره العقاد في « شعراء مصر .. » (١٩٣٧) يستعمل ص ١١٧ « الرواية المسرحية » تمييزا لها عن القصـة . علما ان مصطلح « التمثيلية » صار عريقا في مصر الحديثة . الم

يؤلف عبد الله النديم خلال ١٨٧٩ - ١٨٨١ « تمثيلية الوطن » و « تمثيلية العرب » .

ب - بقي ان طه حسين وحد مصطلح التمثيل مستقرا فلم يستعمل غيره فقال : « شعراء الممثلين » ص ١٣ و « التمثيل » ص ١٣ ، ١٦ ، و « الشعراء الممثلون » ص ١٤ ، ص ١٦ « الممثلون » ص ١٦ .. وكأن العهد قد بعد بالمشخصين والتشخيص او كأن هاتين اللفظتين لم تنجحا في ان تكونا مصطلحين سائدين . وحين ينص طه حسين على « الشعراء الممثلين » فلعله يريد ان يؤكد للقارىء العربي ان الشعراء - في القديم - كانوا هم الممثلين .

(١١)

المسرح العراقي - احمد كريشان ، ص ١٠ من مجلة « افكار » الاردنية ، عمان ، العدد ٥٢ ، شباط ١٩٨١ .

١ - كان المناسب ان يذكر الكاتب مصدره الذي لخص عنه « مقاله » - وهو الكراس الذي اصدرته المؤسسة العامة للسينما والمسرح بوزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨ .

٢ - كان المناسب ان يذكر الكاتب ، ولو بالاسم فقط « فرقة المسرح الفني الحديث » لانها ركن اساسي في كل حديث - مهما يكن موجزا - عن المسرح العراقي .

٣ - قال الكاتب « وفي عام ١٩٥٤ اسست مصلحة السينما والمسرح ونشط معهد الفنون الجميلة وتشكلت اكاديمية الفنون الجميلة .. »

أ - الصحيح ان مصلحة السينما والمسرح اسست عام ١٩٦٠ - ينظر الكراس ص ٩ ، ١٤ .

ب - قد يفهم من كلام المجلة هذا ان الاكاديمية شكلت سنة ١٩٥٤ ، ودفعا لامكان ورود مثل هذا الخطأ نذكر انها اسست سنة ١٩٦٢ ، ينظر الكراس ص ١٩ .

(١٢)

دروس الادب العربي في الاذاعة

تحسن الاذاعات العربية اذ تعنى عناية خاصة بالادب العربي وتقدمه للناشئة ، وابناء الارض المحتلة خصوصا ، دروسا يعمل اصحابها على ان تكون سهلة التلقي .

ولكن ، لا بد لهذه الدروس ، لكي تحقق هدفها المنشود ، من ان تعرض سليمة سالمة من الخطأ في اللفظ او التفسير ..

وقد حدث ان استمعت ذات ليلة الى :

أ - الدينوري بفتح الدال المشددة . وقال ابن خلكان : « بكسر الدال .. وقال السمعاني بفتحها وليس بصحيح » .

ب - السكاكي كافه الاولى غير مشددة والصحيح السكاكي بتشديد الكاف الاولى .

ج - الموازنة بين الطائيين (بالجمع) وابي تمام والبحتري ، والصحيح : الموازنة بين الطائيين (على المثنى) ابي تمام والبحتري .

د - وفي شرح بيت نسب لابي نواس فيه : واصطبح كرخية .. مثل القبس .

قال الشارح : كرخية امرأة منسوبة الى الكرخ .. ولعله زاد انها متوردة الخد او الخدين . وكان من الممكن ان يتنبه الشارح الى كلمة « اصطبح » ليدرك في يسر .. ان الكرخية المنسوبة الى الكرخ هي الخمر .

هـ - ولا يراعي المقدمون السلامة في اداء الشعر او انهم لا يحرصون عليها .. وكثيرا ما كسروا السليم ، وغيروا في التلفظ ما يخرج البيت عن وزنه ومعناه . واذكر اني سمعت ذات مرة منشدا يتغنى برائية عمر بن ابي ربيعة فيقرا المطلع هكذا :

امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

قرا مبكر : بفتح الباء وتشديد الكاف ، وقرا مهجر: بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الميم .

و - ولفظ اسم الشاعر الاندلسي : « ابو البقاء الرندي » بفتح الراء بدل ضمها ..

(١٣)

علي العماري - الصراع الادبي بين القديم والجديد ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ١٣٨٤ - ١٩٦٥ .

١ - ص ٦٣ « ان ابا نواس توفي سنة ١٩٩ هـ » . ص ١٠٥ « ابو نواس كانت وفاته في سنة ١٩٨ هـ » .

والصحيح ان في تاريخ وفاة ابي نواس روايات ، ومنها ١٩٥ ، ١٩٦ .. ولكن المناسب ان يختار المؤلف واحدة ..

٢ - ص ١٢٣ « علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٣ هـ » .

الصحيح : سنة ٣٩٢ .

٣ - ص ١٥٤ « هذه الموشحة التي ينسبها بعضهم الى ابن المعتز عصبية للمشارقة . وينسبها المحققون الى ابن زهر الاندلسي :

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تجب

أ - انتهى المحققون من نسبة الموشحة الى ابن زهر .. ولكن لا احسب ان العصبية للمشارقة - ان وجدت - وحدها حدت الى نسبتها الى ابن المعتز ..

ب - الموشحة مشهورة جدا .. وعجز المطلع : « قد دعوناك وان لم تسمع » .

٤ - ص ١٦٧ - بصدد الكلام على النوع الشعري المعروف بالملحمي منذ ترجم سليمان البستاني الياذة هوميروس واوجد لفظ « الملحمة » مقابلا للمصطلح الغربي - قال : « ورد خبران وثيقان يثبتان وجود الملاحم في الشعر العربي .

الخبر الاول : ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ان لمحمد بن احمد بن الربيع بن سليمان ، ابي رجاء ، الفقيه الشافعي ، الشاعر قصيدة ذكر فيها اخبار العالم ، وقصص الانبياء ، وقد سئل قبل موته : كم بلغت قصيدتك الى الان ؟ فقال : ثلاثين الفا ، ومائة بيت . (توفي هذا الشاعر سنة ٣٣٥ هـ ـ وفي الهامش النجوم الزاهرة : ج ٣ ص ٢٩٤) . وطبيعي انها كانت على قافية واحدة ، لان تعدد القوافي لم يكن قد عرف في ذلك العهد، والا لاشار اليه المؤلف ، لانه يكون امرا غريبا حينذاك » .

وفي التعليق على هذا الخبر او لنفيه ان يكون دليلا على وجود ملحمة من نوع الياذة هوميروس نلاحظ :

أ ـ ان محمد بن احمد .. فقيه وليس شاعرا حقيقيا ..

ب ـ انه ذكر في القصيدة اخبار العالم .. وقصص الانبياء .. ولا يجعل ذلك من قصيدته ملحمة .. وانما هي نظم ، يدخل في الشعر التعليمي ، وربما في الرديء من الشعر التعليمي .. انه شعر علماء ..

ج ـ صحيح طبعي : طبيعي .

د ـ لا يشترط ان تكون قصيدة محمد بن احمد .. على قافية واحدة .. وهي اولى ان تكون من الرجز .. والمزدوج .. وهو النمط الذي كان معروفا جدا لدى العرب .. وهو المستعمل عادة لدى « النظم » كما فعل ابان اللاحقي في نظم كليلة ودمنة .. وكما فعل ابو العتاهية ومن سواهما ..

هـ ـ والمسألة معروفة ليس بها حاجة الى اشارة .

٥ ـ ص ١٧١ « اصحابه يجرون في غبار شعراء الغرب ، يحاولون تقليدهم ، ولكن كما قلد الغراب الحجلة (والقصة معروفة) .. »

الذي احفظه في هذا الباب :

غراب تعلم مشي القطا   فلا ذا تهيا ، ولا ذا حصل

والمثل العراقي : ضيع المشيتين .

٦ ـ ص ٢٢٥ « يقول الاستاذ جب .. » بثلاث نقط تحت « الجيم » .

أ ـ يلجأ المصريون الى هذه « الحيلة » لانهم ، حتى كثير من المثقفين ، يلفظون الجيم على مقتضى عاميتهم ، فاذا اراد المؤلف ان يشعرهم بان هذا الحرف جيم وليس كيم ـ ولا سيما في الاعلام الاجنبية ـ وضع لهم هذه النقاط الثلاث ـ وليس العمل مقبولا لانه يؤدي الى ضرب من العبث بالحروف العربية وكان اللازم ان يفرق القارىء منهم ـ كما يفرق العرب الاخرون ـ بين العامي والفصيح.

ب ـ والخطأ الثاني هنا، ان هذا المستشرق يلفظ في حرف اسمه الاول كما تلفظه العامة في مصر فهو كب (غب) وليس جب بالجيم ، هو كب (بالكاف الفارسية) وبالكاف التي وضع عليها ابن خلدون ثلاث نقاط .

(١٤)

مع المذيعين في لغتهم

١ ـ يو م الثلاثاء . لا تسمع الثلاثاء الا مضمومة الثاء الاولى ، وكأن المذيع يرى ذلك الفصيح والافصح والادل على العلم ..

وليس الامر كذلك لان الفصيح والافصح هو فتح الثاء الاولى ، كما هو الشأن في العدد « ثلاث » و « ثلاثة » .. ويكون الفتح حينئذ اسهل واكثر منطقية .

ونرجع الى المعجمات .. فنجد في مختار الصحاح والقاموس المحيط : يوم الثلاثاء (وقد فتح الثاء الاولى) بالمد ، ويضم . وفي المختار جمعه ثلاثاوات (وقد فتح الثاء الاولى) .

ولا ترد في لسان العرب الا مفتوحة .. وزاد: وحكى ثعلب عن ابن الاعرابي : لا تكن ثلاثاويا اي ممن يصوم الثلاثاء وحده (وقد فتح الثاء ..)

٢ ـ ويلفظون ينبع بضم الباء كأن ذلك الوجه الصحيح وان ضم الباء هذا يمنح المذيع درجة اعلى من الفصاحة ، وترفعا عن العامية .

وليس الامر كذلك . جاء في القاموس : ينبع مثلثة. وفي المختار : نبع الماء خرج من باب قطع (اي بفتح الباء من ينبع) ونبع ينبع بالكسر .. لغة ايضا ..

ـ ويلفظون « الينبوع » بضم الياء .. وهو مفتوحها في المعجمات ، وفي الآية : « حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا » بفتح الياء ..

٣ ـ ومن خطأ المذيع اللبناني بخاصة ان يقول حوال وهو يريد حوالي ، ويقول برئس وهو يريد يراس (ومثله في ذلك الصحافة) ، ويلح بعض المذيعين على لفظ « السعودية » و « السعودي » بفتح السين بدل ضمه .. ومنهم من يلفظ العراق (والعراقي) بفتح العين عوض كسرها ..

بغداد ـ الجادرية   علي جواد الطاهر

ـ ١ ـ
الحصان ..

●

عاد المعلم (حسن) ذو الوجه الصبيح ، والابتسامة المشرقة ، والذي يتسم بخفة الحركة ، والذي يرضى بأقل اجر ، بعد آخر (نقلة) لوفود محاسيب الامام الحسين من حي السيدة زينب على عربته (الكارو) الكبيرة المزركشة بألوان زاهية ، والتي يجرها حصانه الجميل البني اللون .. في طريقه الى (الموقف) ، وتراقصت امام عينيه الحلية الذهبية التي سيشتريها لزوجته، والحقيبة الجلد لحفظ كتب ولده الوحيد الذي يريد ان يربيه تربية محترمة على حد قوله ، والشرابة الحمراء لحصانه ما اجمله عندما يعلقها في رقبته ويتبختر بها ، ما دام الله قد فرجها عليه ..

وبينما هو يسير ، وحصانه يخترق الهواء في خفة ، ودلال ، وعلى حين فجأة انقضت عليه وعلى العربة سيارة عامة كبيرة، كأنما هوت عليه من السماء ..

وفي لحظات سريعة انقلبت العربة وطار من فوقها المعلم حسن ليفترش الارض ..

ولم يدر بعد ذلك على وجه التحديد ، ماذا حدث له لانه كان اقرب الى كابوس مروع منه الى حقيقة مؤلمة ..

ولم يشعر بما حدث من اجراءات ولكنه احس فقط بانه فقد حصانه الى الابد ..

وجلس يبكيه ، يبكي رفيق عمره وجالب رزقه ، يبكيه بحرارة الاب وهو يودع فلذة كبده ، لقد فقد الحصان ، ثم كيف يربي بعد ذلك ولده .. كيف ؟ ايعمل من جديد صبيا عند احد المعلمين ، لقد شقي، وذاق الامرين ، وجاع ؛ وعمل ، وواصل ليله بنهاره حتى تحققت امنيته ..

وتجمع الناس من حوله يواسونه مرددين :

ـ « سليمه احمد ربنا انها جت في الحصان .. »

ولم يكونوا يدرون انه يود لو فدى الحصان بحياته ..

وبدأ الجميع ينفض من حوله، كما بدأ هو « يعدل » العربة تجاه الحصان الملقى على الارض فاقد الحياة ، وتعاون معه بعض الناس على رفعه فوقها ، واراح بيديه المرتعشتين راسه المملوء بالدماء ، والذي مال على احدى جانبي العربة .

وجر العربة حاملا فوقها رفيق عمره ، واثار الدم على الطريق

ثلاث قصص

بقلم رستم كيلاني

*

تشهد على فاجعة المعلم حسن ، وسار في تؤدة بخطوات قصار ، ناكس الرأس ، ودموعه تسابق قدميه .

وصل المعلم حسن مدخل الحارة والحزن باد عليه ، كان يرى بعين خياله شماتة المعلمين الذين تشاجر معهم بسبب تساهله الكبير ومخالفته للاسعار التي اتفقوا عليها جميعا فيما بينهم .

قصة

وعندما مر بالموقف ، نهضوا كلهم من جلساتهم ، وجروا نحوه سائلين في تلهف عما حدث ..

وبينما هو يقص عليهم الخبر ، شعر عكس ما كان يتوقع منهم ، يشاركونه حزنه العميق ، يواسونه على فقيده ، وقد الم بهم من الحزن ما الم به ..

وبعد صلاة الفجر .. عاد المعلم حسن من المسجد الى منزله، ووجد مظروفا اعطته له زوجته، فتحسه

ووجد به نقودا جمعها له زملاؤه لعلها تعوضه عما فقده ، علها تسهم في شراء حصان جديد ..

ورفع راسه الى السماء، وتساقطت دمعات حزينة من عينيه، واسلم راسه لوسادته ، ثم راح في اغفاءة ..

ـ ٢ ـ
السيجارة ..

●

دهمه سعال حاد ، حتى كاد يكتم انفاسه ، واحس باختناق شديد ، وكانت عيناه محمرتين الى حد يخيل الى الرائي ان كأسا من الدم القاني قد صب فيهما ، فاسرع باطفاء السيجارة بيد مرتعشة بسبب هزات جسمه من ذلك السعال وامتدت يده الى كوب الماء الموجود بجانب فراشه ، وجرع منه جرعة واحدة فاستراح .. وحمد الله ..

وطغى في داخله هاتف عنيف :

« كفى . كفى . كفى ، صحتك لقد نجوت اليوم من الموت ! » .

ولاح امام عينيه شبح الموت ، مخيفا ، ضخما يحجب الضوء عن عينيه وكأنه دخان ملايين من السجائر انتشرت في الغرفة ..

فعاوده الهاتف من جديد :

« كل هذا السعال من اجل هذه اللعينة .. السيجارة ، اتركها عالج نفسك .. عالج صدرك .. انت ما زلت شابا في ريعان حياتك ابن الثلاثين وتبدو في الخمسين . لقد

هدك السعال » .

وعندما استفاق من هذا الهاتف .. عاوده السعال ، فجرع جرعة ماء ، وبينما هو يستعيد انفاسه اقسم بينه وبين نفسه الا يعود الى التدخين مرة ثانية ..

ونهض من فراشه حاملا بيده علبة السجائر ، وفتح باب الشقة ونادى بصوت عال :

— عم يونس .. عم يونس ..

ولم يرد عليه البواب ، وحين هم بمعاودة النداء مرة اخرى بدا يطفى .

« اتنادي البواب لتعطيه علبة السجائر .. اليس كذلك ؟ اتناديه من اجل ان يكون مثلك مدمنا ؟ ما ذنبه .. انت تعلم انه ليس في مقدوره ان يشتري علبة كبيرة .. ولا صغيرة . فكيف تغريه باعطائه هذه العلبة الكبيرة المملوءة ليتلذذ بتدخينها دون ان يدفع لها ثمنا .. انه بثمن علبة سجائر يطعم اولاده يوما ، حرام عليك .. حرام عليك . حرام عليـ...... »

وهرب من هذا الهاتف العنيف بسرعة داخل الشقة ، واغلق الباب خلفه ، كأنما يصد هذا الصوت الذي يهز كيانه ، وجلس على تلك الاريكة الملاصقة لجدار الصالة ..

ولم يلبث في الجلوس لحظات حتى اخرج من جيبه علبة السجائر ، العلبة الكبيرة بما فيها من تسع عشرة سيجارة ..

ولم يشعر بنفسه الا وهو يخرج منها سيجارة تلو الاخرى ، يعبث بها ، ويمزقها ، ويفركها بعصبية ، ويلقي بها على الارض لتدوسها قدماه بلا اسف ، كمن ازاح عن نفسه عبئا ثقيلا الى الابد .

— ٣ —

انتظار ..

●

في الدقائق الباقية على بداية الامتحان كان الكثير من المشاهد والخواطر تطوف براس « حمدي » فلقد اجاد في الاجابة عن كل مادة مرت به ، ولم يتبق له غير المادة الوحيدة التي سيمتحن بها بعد لحظات وكان يعمل لها الف حساب ، اذ كان الطلبة جميعا يعتبرونها مادة خائنة مهما احسن فيها الطالب ، فربما زل قلمه وهو لا يدري .

وتذكر امه في صباح هذا اليوم قبل حضوره اللجنة ، عندما جلس بجانبها على سجادة الصلاة وهي بوشاحها الابيض ، وهو يحاول تقبيل يدها ، وقالت له :

— اذهب يا ولدي مصحوبا بدعوات مني ، في رعاية الله ..



رستم كيلاني

واشرق وجهه ..

وبينما كان ينزل الدرج ، لمحته « هناء » جارته ، وحبيبته التي ظلت سبعة اعوام ترفض — من اجله — كل طالبي الزواج منها .

لم ينس فضلها عليه .. لقد وقفت بجانبه منذ التعليم الثانوي حتى اتمه ، وعمل موظفا بسيطا بعد موت والده ليكفل لامه واخوته الصغار حياة افضل .. وشجعته على انتسابه الى كلية الحقوق ليواصل تعليمه الذي انقطع بسبب تلك الظروف التي حلت به ..

رآها تبتسم له كعهده بها ، وكأنما الدنيا باكملها قد ابتسمت له ، والقى عليها تحية الصباح ، فردت عليه باحسن منها ، ودعت له بالتوفيق .

وفي الطريق .. كان يتذكر تلك اللحظات السعيدة التي مرت به بصحبتها كالنسيم العطر .

ولا ينسى اليوم الذي سالها عن سبب رفض والدها لعريس اختها ، فقالت له وكان الرد كالصاعقة سقطت عليه :

— رفض لانه بشهادة متوسطة .

كان هذا الحديث دافعا قويا له لمواصلة اتمام تعليمه الجامعي ، فلقد عرف وقتئذ انه لن يكون هناك زواج من « هناء » قبل ان يحصل على « الليسانس » .

ظل على هذا الحال وقتا وهو يستعرض لمحات من شريط حياته وقطع عليه مواصلة العرض صوت زميل يخاطب زميلا اخر :

— .. لو جاء الامتحان يا فؤاد سهلا سادعوك الليلة للذهاب الى السينما ..

وسرح حمدي بخياله وكأنما يخاطب نفسه :

— لو جاء الامتحان يا « هناء » سهلا سادعوك الليلة للذهاب الى السينما ، وساشتري لامي علبة اللبن التي وعدتها بها ، وساعطي لاخوتي الصغار قروشا يشترون بها كل ما يرغبونه ..

آه .. لو جاء الامتحان سهلا لاطمأن قلبي ، واضمن نجاحي هذا العام بتقدير طيب ، واظفر بمنصب يليق بـ « هناء » وحينئذ يحق لي ان اتقدم لطلب يدها بكل اعزاز ، وفخر وشجاعة ، واعوض كل شيء بالنسبة لامي واخوتي الصغار .. وتنتهي كل متاعبي .

وعم السكون المطبق السرادق الكبير عندما ارتفع صوت المراقب والكل آذان له واعية :

— لقد آن الوقت لتوزيع ورق الاسئلة ..

وبدا الكل يعتدلون في جلساتهم

طفولة



اني احبك يا صغيرة مثلما ... يهوى الصغار طرائف الاشياء
فلانت في عيني اجمل دمية ... واحب ما احببت من اهوائي
فاذا نظرت اليك نظرة واله ... ابصرت احلامي تغيم ازائي
وكحامل المنظار معكوسا ارى ... ما كان قربي في القصي النائي
بعدت مسافات السنين فبيننا ... ما ليس تبلغه سفين رجائي
تاهت بصحراء الزمان قوافلي ... وتناقل الركبان رجع حدائي

وديع ديب

استعدادا للامتحان ..

ووضعت امام حمدي ورقة الاسئلة ، وقرأ بصوت خافت بعض الآيات القرآنية ، والادعية ، ولاحت على الفور صور امه .. وهناء واخوته الصغار وهم يقولون له في صوت واحد .

« لا ترهب الموقف .. الله معك»

وبيد مرتعشة امسك بورقة الاسئلة ، وواصل القراءة في لهفة وشغف ، وارتسمت على وجهه ابتسامة مشرقة ملات نفسه غبطة ورضا ، وتنفس الصعداء ، وسرت في اعماقه راحة نفسية عجيبة ، وقبل يده ظهرا وبطنا ، وحمد الله.

القاهرة ... رستم كيلاني



وحيد الدين بهاء الدين

الياس قنصل كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

***

في اواخر الستينات ، ويوم آنس جورج صيدح مني ، انفتاحا ابعد مدى ، واهتماما اوسع افقا ، وتطلعا اعمق غورا ، في ميدان الادب المهجري ، شعرا ونثرا ، رشح لي ، شخصيات خليقة بالتبادل الفكري والتواصل الوجداني ، في كل شؤون وشجون ، يمكن ان تثار او تستثار ..

كان الياس قنصل واحدا من هاته الشخصيات المرموقة التي انزلت جورج صيدح من نفسه ، منزلة خاصة ، لم تتح اسبابها في يوم لغيرها من الناس ، بأي معيار كانوا ، وفي اي مستوى صاروا .. والتي لو لم تكن كذلك ، لما صدرت في حقها شهادة تزكية ، او براءة ذمة، بعد طول اختبار واصطبار ..

لعل من الاستطراد ان المح ، انه لئن كان ثمة اصدقاء لي من الشعراء والادباء ، وفيهم جورج صيدح ، باتوا برزخا بيني وبين بعضهم في عالم الضاد : وطنا ومهجرا في المراسلات الادبية التي طالما ارهص بها تجاوب عقلي وتعاطف روحي ، فانما كنت انا الاخر همزة وصل بين هذا وذاك ، هنا او هناك ، تحقيقا لامثل صيغة في الرابطة الفكرية والثقافية ، واسمى قيمة في العلاقات الانسانية ..

من هذا المنطلق استجبت لدعوة جورج صيدح : الانسان والفنان ، شاكرا له وطائعا ، فبادرت بتحرير رسالة الى الياس قنصل ، هذا الذي سلف ان عرفته شاعرا وناقدا يتفجر حماسة وتمردا ، وانسانا يفيض صراحة وظرافة ..

الا اني لا اتذكر ، وقد بعد العهد ، ما اثرته وطرقته في ما دبجت اليه من سطور وشعور ..

تداولت الايام ، حتى تناهى الي جوابه المكثف من الارجنتين متجاوزا حدودا وقارات ، ومستهلا بقوله : « تلقيت البارحة رسالتك الكريمة فشكرت لك من صميم الفؤاد كلماتك التي اعتبرها مرآة تتجلى على صقالها اخلاقك العالية اكثر مما هي نتيجة لتأثير الادب الوضيع الذي تطلع به يراعتي . واشكر للاخ الغيور الاستاذ صيدح الذي اتاح لي ان تراسلني ــ وهو السباق الى كل مكرمه ــ فاطلع هكذا على وجه ادبي جديد للعراق ــ هذا القطر العربي العزيز الذي له في قلبي منزلة لا تفوقها منزلة » .

على انه كان من المنطق الواقعي ان يركز الياس قنصل التنور على الدور الفكري والنضالي ، الذي فرضه عليه موقعه كشاعر حساس وصحفي قديم اصدر بعض المجلات والصحف ، ليعبر عن وجهة نظر المغتربين والجالية العربية في تلك البلاد المتباعدة والمغرقة في العجمة ، وبها تتطاحن قيم مادية ، وتيارات حضارية ، ومفاهيم مذهبية . حيث يقول : « اني ازود بعض الصحف الارجنتينية باخبار العالم العربي الادبية ، ومنها ما ينشر ومنها ما يحفظ للرجوع اليه عند الحاجة . وللعراق حصة كبرى من الاخبار ، ولهذا يهمني الاطلاع على كل ما يمكن الاطلاع من وقائع الفكر في بغداد ، ويواصل : « اننا مضطرون الى الجهاد في الميدان المحلي اذا جاز هذا التعبير واقصد : المغتربين العرب ليظلوا محتفظين بالنفس العربي ما امكن . ثم اننا مضطرون بعد ذلك او قبل ذلك على الاصح الى الجهاد وقوفا في وجه الدعاية الصهيونية التي تحاول ان تكسب الراي العام ضدنا . ونحن على الرغم من عدم تماثل القوى ، مؤمنون بان النصر لنا » .

الى جانب هذا كله ، لم يتوان الياس قنصل ، عن بسط ما كان له من امر كتابه النقدي الجريء « من ادب المغتربين » . هذا الذي اثار في وقته ، اصداء وردود فعل معاكسة من تساؤلات وتعقيبات في منتديات المهجر ، وفي

بعض صحف الوطن العربي ، محاولا ان يجعل من نزعته الذاتية التي اليها وظيفته الادبية ، خطا اساسيا ثابتا ، لا يتنكر له ، ولا ينحرف عنه ولا يخرج عليه ، فقد نوه بما رام : « ان ادب المغتربين ـ وانا جندي بسيط في جيشه النجب ـ قد ادى مهمته على ما اعتقد.. وفخره انه كان صادقا في شعوره وتعبيره لم يمالىء ولم يلجأ الى « المقبلات الاصطناعية » ولا يستطيع ان يقدر الصعوبات التي وقفت في طريقه في الاونة الاخيرة الا من يعرف الحالة التي آلت اليها المهاجرة العربية » .

ثم يبدو ان الياس قنصل ، ايمانا منه بأدب المهاجر الجديد ، الزمته نزعته ، اظهار الوجه السلبي والايجابي له ، ضمانا لديمومته ، وامعانا في جبروته ، فبات نشيطا مكاتبا صحفا ومجلات على امتداد الوطن العربي ، مزودا اياها باخبار المهاجرين المغتربين الادبية والسياسية خائضا في صراع مرير مع الصهاينة ، في حين بدا ينشر انتاجه المنوع من قصائد وابحاث ونقدات ، فما كنت ترى صحيفة عربية ، خلت من شعره او نثره .. من اسمه او رسمه..

وفي واحدة من رسائله الي يقول : « ان القوى بيننا ـ يريد بذلك الصهاينة ـ وبيننا غير متكافئة لانهم يقدرون ان يبذلوا ما ارادوا فلهم موارد رسمية يستقون منها . اما نحن فاننا نبذل من « اللحم الحي » ولكنني اكرر بان ايماني لا يتزعزع بفوزنا » .

انه كان يثبت حضوره .. وينطلق على سجيته ، ويطل على الدنيا هذه الشاسعة بكل وعيه وسعيه ، مطلقا للمته ، معليا راس امته في اي محفل ومجمع ، وعلى قدر مشترك من الجدة والاصالة ، وعلى مستوى رائع بلا تعالم وتعال .. لا لشيء الا لانه صورة مصغرة لواقع ادب المهجر ..

ثم يلاحظ ان الياس قنصل ، كان يردف ما يؤديه عملا ، بشيء مقابل له ، ذي اثر وقيمة ، وعلى استطاعة، كان ينقل اهم انباء ادباء الوطن وشعرائه وسياسييه الى صحف المهجر وانديته وجمعياته ، بغية تلاوتها في الجلسات او منا[illegible]ها على المنابر ، او اذاعتها بين الملأ اطلاعا عليها، وادراك تأثيرها ، ووصولا الى نتيجتها ..

وقد يكون من النصفة الاشارة الى ان الياس قنصل بسبب من التزامه الادبي ، كان يقف في بعض الاحايين الى جانب المسحوقين والمتظلمين من الشعراء والمفكرين ، سواء اكانوا بالمهجر ام بالوطن ، خلاصا لهم من محنهم ومآسيهم .. وما برحت اتذكر كيف اسرع هو ورهط من زملائه في عقد الستينات ، في رفع احتجاج او شيء من هذا القبيل .

في كل رسالة يسوقها الي الياس قنصل ، كان يسألني عن نشاطي الادبي ونشاط اخواني في القطر العراقي ، فكنت من جانبي اجيبه عن ما يريد بالافادة طورا .. والافاضة طورا اخر .. ولعل في ايماءته ما يغني عن التفصيل : « اخبزني بالتفصيل عن نشاطك الادبي وعن نشاط الاخوان الذين لك بهم صلة واعلم ان اخبارك واخبارهم السارة تنزل على نفسي بردا وسلاما ، وكل مقالة تصدر في العراق عن ادب المغتربين يشوقني الاطلاع عليها ، ووصلني باخباركم الادبية السارة وهي تنزل على قلبي بردا وسلاما » .

ويوم اهداني نسخة من كل من كتابيه « رباعيات قنصل » و « فلسفة حمار » مهد ذلك بعبارة لا تخلو من فكاهة وتواضع : « في بريد اليوم ارسلت اليكم كتابي « رباعيات » ونسخة من كتابي « فلسفة حمار » متمنيا ان يروق لكم ما يحويانه من ادب وضيع » .

فما ترددت ان تحينت الفرصة الموائمة ، ان اشكر له مشاعره ، واقدر مواهبه ، ثم ان اقابله بما اعتدت ان اقابل به الاخرين ، ردا على الصنيع ، وترسيخا لصلة الفكر ، التي تجمع على اكرم حال ..

في مطاع عام ١٩٦٧ فوجئت بكتاب لالياس قنصل ، عنوانه : « من مناهل الحياة » ، مطروحا في مكتبات بغداد ومطبوعا من لدن وزارة الثقافة والارشاد .. فابتعت منه نسخة استمتاعا بمطالعته وتكريما لمؤلفه الصديق ..

بينما جعلت ارتشف « من مناهل الحياة » كؤوسا ملأى بالحب والمجد والجمال ، باغتني الياس قنصل برسالة ، يرجوني بها كل الرجاء ان اطير له نسخة من كتابه الجديد هذا ، فيقول : « لقد حزرت انني لم استلم حتى الان من وزارة الثقافة والارشاد اية نسخة من كتابي « من مناهل الحياة » ، فاذا رأيت ان تتكرم وتبعث الي به، شكرت لك من صميم الفؤاد صنيعك » .

توليت ارسال نسخة من كتابه اليه بالبريد الجوي ـ وان كنت واثقا ان حصته من الكتاب ـ وهي مئة نسخة ـ قد ارسلت اليه رسميا .

ما ان بلغته نسخة الكتاب حتى وافاني شكره الجزيل، مقرونا بطلب جديد . « اشكر لكم من الصميم تكرمكم علي بنسخة من كتابي « من مناهل الحياة » وقد رأيت في مظهركم هذا دليلا جديدا على نبل اخلاقكم وشرف صداقتكم التي اعتز بها كل الاعتزاز » . ويواصل : « ان ما عرفته فيكم من سمو الشمائل يشجعني على ازعاجكم بهذه الرغبة ، وهي ان تتكرموا وترسلوا الي ما تستطيعون مما يمكن ان يكتب عن كتابي الجديد « من مناهل الحياة » لأتلافى الاخطاء التي يشار اليها في طبعة قادمة » .

فاذا كان طلبه بارسال نسخة من كتابه اليه جوا قد تحقق، فان تزويده بما يكتب عنه لم يتم قطعا، لا لشيء الا لاني لم اقرا وان شئت فقل لم اصادف كلمة ولو واحدة عنه .

ولكن يوم ادركته حصته من نسخ الكتاب ، من وزارة الثقافة والارشاد ، لم يعد الي نسختي الخاصة

المشتراة من كتابه من السوق ، ناهيك باهداء نسخة منه الي ، تعبيراً عن وفاء مشترك او اعترافا بالجميل اومقابلة بالمثل ، وهذا اضعف الايمان ..

هنا افتر ثغري عن ابتسامة ما .. ثم لم اشأ ان اعاتبه على ذلك لا في مراسلاتنا ولا في ملاقاتنا في ما بعد ، وان صار العتاب من حقي ، عملا بقول الشاعر الحكيم :

اما العتاب فبالاحبة اخلق — والحب يصلح بالعتاب ويصدق

★ ★ ★

على اثر هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، اندحر الياس قنصل ككل ذي بصر وبصيرة ، وانغمر في خضم من تعجب وتساؤل من ما حصل .. لم يعتم ان كتب الي بنبرة حزينة عميقة ، وان علاها امل بالغد .. « لقد ضعضعتنا الكارثة ـ اننا كنا ننتظر كل شيء الا ما افضت اليه واصبحنا مضطرين الى تبرير هذه النكسة امام الغرباء وهم لا يستطيعون ان يلموا بدقائق الحوادث ، وانما يتناولون مظاهرها ويحكمون من خلالها ، وما اقسى احكامهم » ! ويستطرد : « اننا لم نفقد الثقة بالعروبة ولن نفقدها ، ونحن مقتنعون ان الغلبة ستكون لنا اخيرا . ان ذلك يتطلب جهودا جبارة فوق الطاقة ، ولكننا على استعداد لبذلها » .

فالياس قنصل كلف بالعروبة وادابها .. مؤمن بمستقبلها وتراثها .. متشوق الى وحدتها وسيادتها المطلقة، وان اعتورت مسيرتها نكسات ومؤامرات واخفاقات .. وانعقد في اجوائها ظلام الزمن وظلم المأجورين الموتورين .. وانما اشار الى هذه الحالة الزائلة بالضرورة ، بفعل الاحداث ، وحتمية التحول الحضاري ، وانبعاث روح اليقظة والتجدد والتمرد في النفوس الغافية المتخاذلة ، اذ قال : « نحن ـ كما تعهد ـ نسير على النهج الذي شاءه لنا القدر لا نكل ولا نمل ، وان كان الهدف الاخير بعيدا. اننا شديدو الايمان بمصير العروبة التي تجتاز الان عهدا من اخطر عهودها . واكرر ما قلته لك سابقا : ان النصر لنا ، احب اعداؤنا ام كرهوا » .

هذا كله يحفزني على التأكد من ان الياس قنصل ، كان حريصا كل الحرص على تبيان الحق العربي الطبيعي في فلسطين على امتداد العهود ، في صحف ومجلات اصدرها بنفسه او عمل بها محررا كـ « الجريدة السورية اللبنانية » ومجلتي « المناهل » و « الفنون » وفي الصحافة العربية والمهجرية واجهزة الاعلام الاخرى ، من غير تهيب او تنصل مستمرئا في سبيل ذلك ، ما كان يعانيه من ازورار واستنكار ، ما دام القدر بواه هذا الموقع وشرفه بمهمة الذياد عن حياض امته العربية : ذات الحضارة العريقة والتراث الخالد ..

★ ★ ★

لا يصح ان يغيب عن الاذهان ، ان نهضة الادب المهجري ، المنسحبة بآفاقها وسماتها ، على واقع الثقافة العربية الحديثة ، لم تعدم نقادا او باحثين ، حاولوا القدح فيه ، والنيل من اصحابه ، ثم العيب على جماليته وشموليته ، ثم فاعليته في مجرى الفكر المعاصر، بدعوى الضحالة والمحاكاة طورا ، والتغرب والتباعد نحو الروح العربية وتراثها طورا اخر ، وليست ببعيدة عنا آراء طه حسين ، وعزيز اباظة ، وصلاح لبكي ، ومحمد النويهي ومن اليهم ..

الا ان هاتيك الاصوات وان خفتت او تراجعت على مدى الاعوام فانها عادت وبشكل آخر بعد هزيمة حزيران اللعينة ، وحين احتفل بالذكرى المئوية لميلاد احمد شوقي.

هنا انبرى الياس قنصل كما انبرى في المرة الاولى بمقال حاد ، عنوانه « من ذبول المعركة » منساقا بغيرته الادبية ، لهؤلاء الذين اطلقوا صيحات الاقليمية والعصبية، يوسعهم تثريبا وتأنيبا ، ويعريهم في مشهد الفكر والشعر، قائلا في قصيدته « منائر الحياة » :

وتلالات من شعرنا آياته — كالزهر ، كالانسام ، كالانداء
شوقي وكم للضاد من فتح اذا — احصى الكفاح مآثر البعداء
انا رفعناها شعارا منزلا — للنبل في السراء والضراء
خاض المصاعب والمخاطر غيرنا — وجهوده ترمي الى الاثراء
ومضى بنا الايثار في نهج العلى — متلفعا بمشقة وعناء
ما همنا ان لبثنا مثلما — حكمت شهامتنا من الفقراء
لم نخل مضمار الكفاح ولم نخض — غمراته طمعا باي جزاء
هوت الخطوب فلم نعفر جبهة — للمال مع ما فيه من اغواء
وعلا الوعيد من القريب فلم ينل — منا سوى الاعراض والاغضاء
بخس الحسود بياننا متناسيا — ما فيه من بدع ومن انشاء
ان العروبة نحن نحن سيوفها — وبنا تجر مطارف الخيلاء
الم البعاد ولوعة التحنان في — اقلامنا شدو وطيب وفاء

★ ★ ★

في ربيع ١٩٧٣ صدر كتابي القصصي «نداء الشوق» فعلى جاري عادتي ارسلت منه بنسخة هدية الى الياس قنصل ، كما ارسلت الى غيره ، رمزا للولاء الادبي المتجدد، فاذا به يهتز اريحية تدعوه لان يحرر الي رسالة ويقول بها : « تلقيت في هذا الاسبوع هديتك النفيسة كتابك «نداء الشوق » فشكرت لك من صميم الفؤاد مظهرك النبيل ، وسأعمد الى مطالعته بما يستحقه من عناية وتقدير » .

كذلك يقول مواصلا : « اني ارافق بالاعجاب الشامل نشاطك الادبي الموفق واطالع بنات افكارك الطريفة في الصحف التي تصلني من العالم العربي فارى فيها الاسلوب الشائق والفكرة النيرة . ان الضاد التي يحق لها ان تفخر بأديب مثلك تتمنى ان تتابع المسير في هذا الدرب الشائك الذي اخترته لنفسك . اني امون بعض الصحف المحلية الكبرى بالاخبار الادبية عن الوطن العربي وهي تحتفظ بها الى حين الحاجة .. وقد كتبت لها عن نشاطك الفكري المتواصل . فاذا رايت ان تبعث الي بسطور من حياتك

كان شكري لك جزيلا » .

★ ★ ★

ثم تداولت الايام، واخبار الياس قنصل الشخصية والادبية بدأت تنقطع .. بدا لي ، كذلك يبدو دائما ، ان ذلك شيء طبيعي ، في حياة المرء العاني ، الغارق في همومه واهتماماته ، ما دامت دنياه تتقلب وتتكدر تارة، ثم تتجدد وتصفو تارة اخرى ، حتى لتجعله يستكين لارادتها راغبا او راغما ، ويستجيب لندائها طوعا او اكراها .. ثم تظهره – وهذا اغرب ما في الامر – بالمظهر غير الطبيعي امام الاخرين ..

فلم تتواصل بيننا في ما بعد مراسلات ومناجيات بالمعنى الصحيح ، بالرغم من لقاءاتنا قصدا او غير قصد على انهر الصحف والمجلات ، هنا او هناك ، وبالرغم من تسقط كل منا انباء الاخر من بعض مريديه ومشايعيه .

لكن في يوم من ايام خريف ١٩٧٨ انتهت الي نسخة هدية من ديوان « الحان الغروب » لالياس قنصل ، من دمشق بدلا من بيونس ايرس بسبب من اضطلاع اتحاد الكتاب العرب بسوريا ، بطبعه واخراجه ، حيث بعث بها الي اخوه : حنا قنصل ، هذا الذي لم اكن قد سمعت به بعد ، وكتب على صفحتها الاولى : « بتكليف من اخي الياس قنصل ، اقدم هذا الديوان الى الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين المحترم لما له من بعض الايادي في سبيل الادب . مع اصدق التحية وعميق الاحترام : حنا قنصل » .

من هنا اقتضى ان اوجه رسالة ملؤها الشكر والفكر الى الاستاذ حنا قنصل ، وانا اتشرف بمعرفته والتوجه اليه ، مقيما نبوغ اخيه الياس الشعري والفكري ، ووفاءه الحري بالاعتزاز ..

وفي بواكير صيف ١٩٧٩ تسلمت على غير توقع ، رسالة من الياس قنصل ، يفصح فيها عن مبلغ ما يطويه بين جنبيه من عواطف عامرة ، يخلع عليها تطاول الايام شبوبا واصالة .. اذ يقول : « كلفنا احد الاصدقاء من اعضاء لجنة المغتربين الذين زاروا العراق منذ اسابيع ، ان يتصل بك ويبلغك تحياتنا العاطرة ومن سوء حظه ان وقته لم يتسع لهذه المهمة التي كان يكون هو الرابح منها .. اننا نتابع نشاطك الادبي الموفق ونطالع بها يراعتك البارعة من مقالات تزيد في ثروة الفكر العربي الحديث » .

في عصر الجمعة : السابع والعشرين من تموز ١٩٧٩ ، دق الهاتف بدارتي ، فاذا صوت صديقي الصحفي العتيق المعتق : صبيح الغافقي ، يلعلع عبر الاسلاك، ويستدرجني كعادته الى حوار مستطرد ، ثم يفاجئني :

– تكلم ..؟!

– مع من اتكلم ؟

– تفضل تكلم .. وتزحزح من مكانه .

– كيف انت يا صديقي ؟

صوت غريب .. ولهجة غير عراقية وغير مالوفة :

– من ؟

– انا الياس قنصل .. في بغداد .. كيف حالك ؟!

ادهش :

– اهلا .. اهلا بالقادم .. امر ما كان في انتظاري !

ادركت منزل الاستاذ الغافقي ، واخفقت في الوصول الى منزلك ..

– شكرا . ومرحبا بك .. مرة اخرى . كيف انت والاخرون : زكي قنصل . عبد اللطيف اليونس . محمد حامد .. ودلال كباس .

– انهم في خير .. والحديث طويل .

– متى قدمت .. واين ساكن ؟

– منذ يومين ... وانا هنا بدعوة كريمة من وزارة الثقافة والاعلام ، ونازل في فندق بغداد .. ولا بد من رؤيتك !!

– اقدر احساسك الفياض .. ما رايك في لقاء في الثامنة من مساء الغد بالفندق ؟

– يسرني هذا ايما سرور ..

كان لقاؤنا في الموعد المضروب ، حارا وشائقا دام ساعات ثلاثا .. عبر عن ذاته ، بكل طرافة فكرية ، وقراءة شعرية ، واصالة وجدانية ، وعلاقة انسانية ..

بعيد عودته الى مغتربه سالما غانما ، ارسلت اليه بما عن لي من قصاصات الصحف والمجلات ، التي اجرت معه احاديث شتى في الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي للمهاجرين العرب ، هؤلاء الذين آثروا غربة اوطانهم ، وفراق اهليهم ، واستعذبوا متاعب جمة من اجل ارساء قواعد حياتهم ، واثبات حضورهم الحضاري والانساني .

ثم ادركني شكره على جناح السرعة ، وهو يفضي : « كنت اود وانا في بغداد – ان يتاح لنا لقاء ثان ولكن الارتباطات الرسمية – وانت تعرف – حالت دون بلوغي امنيات عديدة ، في طليعتها الاستمتاع بحديثك العذب اطول فترة ممكنة » . ثم يواصل : « شكرا لك والف شكر على قصاصات « الجمهورية » وهذه يد بيضاء اضيفها الى اياديك السابقة .. واصلني باخبار نشاطك الادبي الدائم واسلم معافى لاخيك ..

★ ★ ★

دار ما يقرب من عام ..

في ضحى الجمعة : الحادي عشر من تموز ١٩٨٠ ، جاءني – وانا في البيت – من يخبرني ، ان في الباب غريبا، لهجته لبنانية ، يريد ان يراك .

حثثت الخطى ، وانا بمباذلي ، فاذا بي وجها لوجه مع الياس قنصل .. فقال – ووجهه محمر ، وجسده يتفصد عرقا وكلماته متعثرة على فمه :

ـ منذ اكثر من ساعة ، ابحث عن بيتك في هـــذه المنطقة .. حيث اشرق مع زميلي بالسيارة واغـرب ، حتى هدانا الله ..

ـ الحمد لله على سلامتك . والاسف على ما حصل لك من عناء .. والشكر لك على تفضلك بزيارتي ..

ـ هل هذه منطقة « الكرود » وهي ذات افـــرع متكاثرة وازقة متداخلة ..

متفكها ومعقبا على احتجاجه غير المباشر :

ـ وان شئت فقل منطقة « القرود » على حـــد تعبير صديقنا وديع فلسطين ..

فتضاحكنا ..

استقر به وبمرافقه الجلوس في غرفة الضيوف ..

رحت ارحب به مرة اخرى .. واعبر له عن مسرتي بقدومه المباغت المبارك ، وقلت :

ـ كتب الله لنا لقاء ثانيا ..؟

ـ اني سعيد بك .. والا لما جئتـــك بنفسي ..

و (متابعا) :

ـ ازور العراق بدعوة رسمية من وزارة الثقافـــة والاعلام للحضور في اعياد تموز ..

ـ زيارة رائعة .. وعلى الرحب والسعة . كيـف هي جهودك الادبية ؟

ـ ظهر لي كتاب عن هـــذا القطر العربي المتحرر المتطور ، عنوانه « العراق الحديث » اذ وضعته باللغـة الاسبانية ، وسيصل الى بغداد في القريب العاجل .

ـ وهل لك سابقة في التاليف باللغة الاسبانية ؟!

ـ نعم اخرجت كتابا قبل مدة عن « جبران خليـل جبران » وقد لقيت في سبيل نشره تعبا ، لان الناشريـن في الارجنتين رفضوا طبعه .. ولكن الله نصرني في النهاية.

وعلى رسل خضنا في حوار ادبي متشعب ، استغرق كل ما كان يجول في الذهن ، واستنفد كل ما اتيح لنا من وقت ..

زاد لقاءنا اهمية تاريخية ، ومتعـة روحية ، ان التقطت لنا صورة تذكارية ملونة ، سرعان ما بلغتني نسخة منها ، ما انفككت محتفظا بها للذكرى والسلوى .. وقد توجت بهذه العبارة : « من مكاسبي الادبيـــة الغالية في زيارتي الاخيرة للعراق العزيز رؤية الاخ الكريم والمفكـر اللبق الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين ، فاليه شكـري وتقديري والى اسرته النبيلة فائـــق احترامي . الياس قنصل ـ بيونس ايرس ـ آب ١٩٨٠ » .

حين هم بالانصراف ، حاولت ثنيه بكل ما استطعت اليه طريقا ، بغية استبقائه عندي للاستئناس بحديثـه الطلي الصريح ، واستضافته ، غير انه اعتذر بكل شدة ، لالتزاماته الاخرى ، ولا بد من الوفاء لها ..

على الباب الخارجي ، ودعته بشعائر الامتنان والولاء والذكرى ..

ثم ترامى الي ان الياس قنصل في خلال مكوثـه ببغداد ضيفا ، شارك في اعياد تموز بالقاء قصيدة مـن قصائده ، في قصر الثقافة والفنون .. كما تقدم بمسودة كتابه الجديد الطريف : « اكاذيب صادقة » الى دائـرة الشؤون الثقافية ، بوزارة الثقافة والاعلام ، توطئة لنشره، حيث ظهر الى الوجود في الشتاء الفائت ..

* * *

تم لقاءان بيني وبين الياس قنصل ..

فما رأيته فيهما شاكيا من حالة او عارض ، او باديا عليه الداء .. وانما وجدته في صحـة وطمأنينة تحمـلان على التفاؤل ، وان كانت اغواره تفـور كما لو كان بركانـا ثائرا ..

لكن الاجل الذي له كتاب ، يأبى ان يقر بهذا الذي ابسطه او استطرد اليه ، ما دام كل شيء ، من الازل الى الابد ، قد ضبط وحدد في لوح الوجود ..

في صبيحة الثالث والعشرين من شهر ايار ـ مايو ـ ١٩٨١ ، بينما كنت اقرأ كالعادة الصحف البغدادية ، وقع مصادفة نظري في واحدة منها ، على صورة لالياس قنصل، وكلمة مكثفة في نعيه ، هذا الذي لم يكن قد طرق سمعي بعد ...

وادهش كما اعتدت ان ادهش في مثل هذه المباغتات .. فتقدرون وتضحك الاقدار ..

فقد توفي في العشريـــن من شهر اذار ـ مارس ـ الفارط في مغتربه القاصي ، على اثر عملية جراحـة اجريت له ..

هكذا انطفأ قنديل اخر من قناديل الادب المهجري ..

وسكت بلبل من بلابله الفردة ..

وسقط صريعا جندي من جنوده الشجعان ..

وتلك بداية النهاية ..

بغداد — **وحيد الدين بهاء الدين**

بنفسجية الأسماء

مي ناصر بدوي

الدار البيضاء ـ المغرب



« والله زمان .. يا بلادي »
حين كنت مثل صدر مورق
كان البحارة الخرافيون ...
يتناولون قهوتهم
على جبينك الوردي ..
وحين كنت تطلعين
من غابات الضوء
وبنفسجية الاسماء

كان البحارة يعيشون بجدول الياسمين
وحين كنت كأسلاك الوشم المرقن
فوق الدم العربي
كانت اظافرهم تختفي
تحت جلودهم
كأظافر الفجر ..
البحارة في مدينتي ..
جاءوا .. من مدينتي
وحين استدعي صدرك للتحقيق
في نادي الخرافين ..
كان الكرباج سيد الموقف ..
« والله زما ن يا بلادي »

البحارة يسرقون قرميد بيروت
لكي يصنعوا منه
كاتما للصوت
كاسيتا ملغوما للبيع
البحارة يغتالون بيروت
يتركونها مثل بطن الغريق ..
تصبح بيروت منشورا سريا
ممنوعا من التداول
تصبح .. ولا تصبح
« والله زما ن يا بلادي »

بيروت .. يا مدينتي المطلقة ..
البحارة .. الذين عبثوا في وجنتيك ..
ستطلع عليهم الشمس غدا ..
وحين يفاجأون بالشمس
لا تدعيهم يفلتون من قبضة البحر ..
لانك البحر .. والغريق .
« انك اعظم من شيخهم ،
وكعبك من خدهم اشرف »

المعرفة والحكمة لبرتراند رسل

ترجمة جرجس عبده

* * *

معظم الناس متفقون على ان عصرنا مع انه قد فاق جميع العصور السابقة فيما احرز من العلم والمعرفة ، فلا وجود فيه لما يقارب هذه الزيادة في الحكمة . ولكن الموافقة تتوقف عندما نحاول تعريف « الحكمة » وتدبر الوسائل الى زيادتها . واحب ان اسأل اولا ما هي الحكمه ، ثم ما الذي يمكن عمله لتعليمها .

وهناك فيما اعتقد عوامل متعددة تشترك في تكوين الحكمة . واول ما سأذكره منها الاحساس بالتناسب ، والقدرة على الالمام بكل العناصر المهمة في مشكلة ما من المشاكل ووزن كل من هذه العناصر بما يلائمه من التقدير . وقد اصبح هذا اكبر صعوبة مما كان نظرا لمقدار وتعقيد المعرفة المتخصصة التي يحتاجها صنوف الاخصائيين المختلفين . افرض مثلا انك مهتم بالبحث في علم الطب . فالعمل صعب ويكاد يستغرق كل طاقتك العقلية . وليس لديك وقت لتقدير الاثر الذي قد يكون لاكتشافاتك او اختراعاتك خارج ميدان الطب . ولنقل انك تنجح ، كما نجح الطب الحديث ، في تخصيص نسبة الوفيات بين الاطفال خفضا كبيرا ، لا في اوروبا وامريكا فقط ، ولكن في اسيا وافريقيا ايضا . وكانت لذلك نتيجة عرضية تماما هي جعل محصول الغذاء غير كاف وخفض مستوى المعيشة في معظم الاجزاء المكتظة بالسكان في العالم . ولنأخذ مثالا اخر ذا طابع عملي اكثر ، يشغل اذهان جميع الناس في الوقت الحاضر . فانت تدرس تركيب الذرة للرغبة النزيهة في المعرفة ، ثم تضع عرضا في ايدي مجانين اقوياء طريقة لتدمير الجنس البشري . وفي مثل هذه النواحي قد يصبح اقتفاء المعرفة ضارا ما لم يقترن بالحكمة ، والحكمة بمعنى الرؤية المدركة لا يتحتم وجودها عند المتخصصين في البحث عن المعرفة .

على ان الادراك وحده غير كاف لانشاء الحكمة ، فلا بد ايضا من وجود وعي معين بغايات الحياة البشرية . ويمكن ان توضح هذا دراسة التاريخ . فالكثير من مشاهير المؤرخين قد اضروا اكثر مما افادوا لانهم نظروا الى الوقائع من خلال مشاعرهم الخاصة المنحرفة . وقد كانت لهجل فلسفة تاريخية لم يعتورها اي نقص في الادراك ، اذ بدات من اقدم الازمان واستمرت الى مستقبل غير محدود . ولكن الدرس الرئيسي في التاريخ الذي سعى لتلقينه هو ان المانيا منذ عام ٤٠٠ للميلاد حتى عصره كانت هي اهم دولة تعتبر معيارا للتقدم في العالم . وربما استطاع المرء توسيع مدلول الادراك الذي ينشىء الحكمة ليتضمن لا العقل وحده ولكن الوجدان ايضا . وليس من النادر ان نجد اناسا ذوي معرفة واسعة ولكن مشاعرهم ضيقة ، مثل اولئك الناس يعوزهم ما اسميه الحكمة .

والحكمة مطلوبة ، لا من النواحي العامة فقط ، ولكن في الحياة الخاصة كذلك . فهي لازمة في اختيار الاهداف التي نسير اليها وفي الخلاص من التحيزات الشخصية . وحتى الهدف الذي يكون من النيل السير اليه اذا كان ممكن البلوغ قد يكون الاتجاه اليه خاليا من الحكمة اذا كان مستحيل التحقيق . فالكثير من الناس في العصور السالفة كرسوا حياتهم للبحث عن حجر الفلاسفة واكسير الحياة .

ولا شك انهم لو كانوا استطاعوا الوصول اليهما لاغدقوا اعظم الخيرات على النوع الانساني ، ولكن الذي حدث ان حياتهم قد ضاعت هدرا . ولنهبط الى امور اقل بطولة ، ولننظر في حالة رجلين ، فالسيد (أ) والسيد (ب) اللذان يكرهان احدهما الاخر ، ينتهيان عن طريق كرههما المتبادل الى دمار كل منهما للاخر . وافرض انك ذهبت الى السيد (أ) وقلت له: لماذا تكره السيد (ب)؟ وسنعرض عليك دون شك قائمة مفزعة عن رذائل السيد (ب) ، بعضها صحيح وبعضها كاذب . ثم افرض الان انك ذهبت الى السيد (ب) وسيعرض عليك قائمة مشابهة تماما عن رذائل السيد (أ) تشتمل على خليط مشابه من الصدق والكذب . وافرض انك قد عدت الان الى السيد (أ) وقلت له « انك ستدهش اذا علمت ان السيد (ب) يقول عنك نفس ما قلته عنه » ثم ذهبت الى السيد (ب) وقلت له نفس الشيء . والاثر الاول سيكون دون شك هو مضاعفة كرههما المتبادل ، اذ سيرتاع كل منهما لظلم الاخر . ولكن ربما اذا كان لديك من كفاية الصبر وقدرة الاقناع ، فقد تنجح في ان تثبت لكليهما ان لامر ليس له الا النصيب المعتاد من العقوق البشري ، وان عداوتهما مضرة بكليهما . واذا استطعت ذلك فقد لقنت درسا في الحكمة .

واحسب ان جوهر الحكمة يكمن في الانعتاق قدر المكن من طغيان اللحظة الحاضرة . فنحن لا نستطيع

حب الطبيعة

يا من طواه الياس اقبل وانشغل	بالخلد يجل الياس عنك ويحجب
ادفع بذاتك للطبيعة ناشطا	فاذا حياتك وفق ما تتطلب
السعد معناه المشاغل فانشغل	ان الفراغ تعاسة تتقلب
وانزح عن البلدان والجا للفلا	وابحث فان الارض فيها المعجب

الرياض — خالد مصباح مظلوم

الخلاص من انانية حواسنا . فالبصر والسمع واللمس مرتبطة بأبداننا ولا يمكن تجريدها عن الشخصية . وعواطفنا تبدأ بالمثل من ذواتنا . فالطفل يحس الجوع والمضايقة ، ولا يكون طبيعيا الا على اساس حالته الجسمية . وبتوالي السنين يتسع افقه تدريجيا ، وعلى قدر ما تكون افكاره ومشاعره اقل تركيزا حول شخصه واقل اهتماما بحالته البدنية ، يحرز حكمة نامية . وهذه المسألة بطبيعة الحالة مسألة نسبية . فما من احد يمكنه النظر الى العالم نظرة كاملة النزاهة ، ولو استطاع ذلك ربما تعذر عليه البقاء على قيد الحياة . ولكن من الممكن الاقتراب المستمر من هذا الانصاف وعدم التحيز ، بمعرفة امور بعيدة في الزمان والمكان من جهة ، ومن جهة اخرى باعطاء هذه الامور قدرها المناسب من الوزن في مشاعرنا . وهذا الاقتراب التدريجي نحو الانصاف هو الذي يساعد على نمو الحكمة .

فهل الحكمة بهذا المعنى يمكن تعليمها ؟ واذا امكن ذلك فهل تعليمها يجب ان يكون احد اهداف التربية ؟ وسأجيب على هذين السؤالين بالاثبات . فنحن نسمع في ايام الآحاد انه يجب علينا ان نحب جارنا كنفسنا . وفي الايام الستة الاخرى نحرض على كرهه . وقد تقول ان هذا لا معنى له ، اذ ان جارنا ليس هو الذي نحرض على كرهه . ولكنك ستتذكر ان جارنا الذي ضرب عنه المثل هو السامري . ولم تعد بنا اي رغبة لكره السامريين ، وبذا فنحن اقرب الى ان تفوتنا نقطة المثل . واذا شئت ان تعرف نقطته فيجب ان تضع الشيوعيين او المقاومين للشيوعيين ، حسبما تكون الحالة ، بدل السامري . وقد يعترض البعض بأن من الصواب كره الذين يحدثون الضرر . ولست ارى ذلك . فانت اذا كرهتهم فحري بك جدا ان تصبح ضارا بالمثل ، وليس من المنتظر ابدا انك ستغريهم بترك طرقهم الشريرة . فكره الشر هو ذاته نوع من الوقوع في قبضة الشر . وطريق الخروج تكون بواسطة الفهم ، لا بواسطة الكره . ولست مؤيدا لعدم المقاومة . ولكني اقول ان المقاومة ان كانت ستؤثر في منع انتشار الشر ، فيجب ان تقترن باكبر درجة من الفهم والادراك وباقل درجة من العنف ، بما يتوافق مع بقاء النواحي الحسنة التي نرغب في المحافظة عليها .

ويؤكد الكثيرون بشدة بان النظرة التي اؤيدها تتعارض مع القدرة على التصرف في النواحي العملية . ولست اظن ان التاريخ يثبت هذه الوجهة . فالملكة اليزابيث الاولى في انجلترا وهنري الرابع في فرنسا عاشا في عالم كان كل شخص فيه متعصبا سواء في صفوف البروتستانتيين او في صفوف الكاثوليك . وكلاهما ظل متحررا من اخطاء عصره ، وكلاهما ببقائه هكذا ، كان نافعا وليس عديم الاثر دون شك وابراهام لنكولن ساق الى حرب كبرى دون الخروج عما اسميه حكمة .

وقد قلت بأن درجة من الحكمة يمكن تعليمها . واعتقد ان هذا التعليم يجب ان يكون فيه عنصر عقلي اكبر مما كان مألوفا فيما يعتبر كتعليم اخلاقي . واظن ان النتائج الوبيلة للكره وضيق الذهن عند من يحسونها يمكن ان يشار اليها عرضا في منهج تعليم المعرفة . ولست ارى ان المعرفة والاخلاق ينبغي الفصل بينهما فصلا شديدا . ومن الصحيح ان نوع المعرفة المتخصصة التي تلزم لضروب المهارات المختلفة ذات دخل قليل جدا بالحكمة . ولكنها يجب ان تقترن في التربية باشرافات اوسع تقدر لوضعها في مكانها من جملة الجهود الانسانية . وحتى افضل الفنيين ينبغي ان يكونوا ايضا مواطنين صالحين ، وعندما اقول (مواطنين) ، اقصد مواطنين عالميين لا في هذه البقعة او هذا الشعب من بقاع العالم وشعوبه . ومع كل زيادة في المعرفة والمهارة ، تصبح الحكمة اكثر لزوما ، لان كل زيادة ترفع قدرتنا على تحقيق اهدافنا ، وبذلك ترفع قدرتنا على احداث الشر ، اذا كانت اهدافنا غير حكيمة . والعالم الان يحتاج الى الحكمة كما لم يسبق ان احتاجها من قبل ، واذا استمرت المعرفة في الزيادة ، فسيحتاج العالم الى الحكمة في المستقبل اكثر مما يحتاجها الان .

القاهرة — جرجس عبده



الدكتور فوزي عطوي

جورج صيدح ورسائله المطوية

بقلم الدكتور فوزي عطوي

* * *

عندما تلطف الاخ الاديب الذواقة الاستاذ عيسى فتوح بادراج اسمي في عداد اصدقاء الشاعر المهجري الكبير الراحل جورج صيدح ، وطلب الي واليهم ان نقوم بنشر ما انطوى من آثار جورج صيدح القلمية ، ولا سيما رسائله الادبية والاخوانية التي تحمل نفثات الشاعر المهجري الصديق ، احسست ، مثلما احس اصدقاء صيدح الاخرون ، بانني اصبحت امام مسؤولية تاريخية ادبية ، وجها لوجه .

واذا كان فضل السبق مرصودا للاخ الاستاذ عيسى فتوح في المبادرة الى الدعوة لنشر الكتابات الصيدحية ، فان للاخوين الاديبين الدكتور عبد السلام عجيلي في سوريا ، ووحيد الدين بهاء الدين في العراق ، فضل السبق الى تلبية الدعوة الفتوحية الكريمة ، فلا بأس ان اكون ثالثهما ، ايمانا مني بأن الرسائل الادبية ، بوجه خاص ، تصبح بعد وفاة كاتبها في ذمة التاريخ الادبي ، ومن حق المهتمين بالشؤون الادبية .

لكن مشكلة نشر مطويات جورج صيدح المتوفرة عندي عائدة الى ضخامة الملف الذي تندرج فيه تلك الكتابات الشعرية والنثرية ، والى كون بعضها قد نشر في بعض الدوريات ، وبعضها الاخر لم ينشر ، وبعضها الاخير اثار عند نشره اشكالات عند صيدح نفسه ، نظرا للحساسية الشديدة التي اصابته في اواخر ايامه ، حتى بات سوداوي المزاج ، تصور له وحدته وشيخوخته وغربته ان بعض الناس ، لا يستثني منهم اصدقاءه المخلصين ، يضمرون له الوانا من النيات التي لا وجود لها الا في تصور الشاعر الصديق الكبير .

لذلك احسب ان الايجاز غير وارد عني ، وان اغفال بعض تلك الكتابات دون بعضها الاخر ، ينطوي على اخلال بالامانة الادبية والعلمية ، ومن هنا حرصي على ان انشر ما توفر عندي من مطويات جورج صيدح على مراحل في « الاديب » ، بعد جمعها ، وتنسيقها وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمني .

الرسالة الاولى التي كتبها جورج صيدح الي ، مؤرخة في ٣-٢-١٩٥٩ . فمنذ اثنين وعشرين عاما ، كنت اعمل صحفيا في جريدة « بيروت المساء » ، واشرف فيها على القسمين الادبي والعربي . وفي امسية الثالث من شباط (فبراير) ١٩٥٩ تلطف صيدح الذي كان آنذاك مقيما في بيروت ، بتسليمي الرسالة التي كتبها عن ديواني « دم وفم » الذي اهديته اياه خلال زيارتنا المشتركة لصديقنا الكبير الشاعر القروي رشيد سليم الخوري في المستشفى الالماني (سان شارل بوروميه) ، وقد جاء فيها :

« عزيزي شاعر دم وفم !

قرات ديوانك وانتشيت بخمرتك . ان شعرك غنائي عذب ، حتى لتغلبك موسيقاه حين تتعمد الزمجرة فلا تدعك تنحرف عن مجراها في نفسك ، وبالتالي في شعرك .

وقد اعجبت بكثير من وثباتك الموفقة (صفحة ١١ و٢٤ و٣١ و٣٨ و٣٩ و٨٦) التي تدل على شاعرية اصيلة لو تركت لها الوقت الكافي للنضج والاختمار ، قبل النشر ، لجاءت بأبدع وادوع من هذه الباكورة ، على ابداعها وروعتها .

يخيل الي انك احيانا تنساق مع اللفظ ، لا مع المعنى ، فيقودك الى ابيات تفكك سلسلة المعاني ، وتسيء الى وحدة القصيدة . وفي بعض الاحيان تتعارض وتتناقض الافكار في القصيدة الواحدة ، وفي مواضع نادرة يختل الوزن ، نتيجة للاستعجال في النظم ، كقولك (صفحة ٤٢):

انا كافر لا اصغي ان نعق الغراب

وقولك (صفحة ٤٦) :

اما التوجع والانين فقد طرحته جانبا

وسوف ادلك على مواضع التناقض ، متى اجتمعنا ،

وعلى ابيات قابلة التحسين ، كقولك (صفحة ٢٨) :

حلم تحقق واكتمل واختال في دنيا الامل

فكيف تحقق ، ان لم يزل في نطاق الامل ؟ كان الاصح ان تقول : في دنيا العمل !

كم من الشعراء حملهم الاختيار على التنكر لبواكير شعرهم ، وندموا على نشره ، وانا منهم . صدر لي ديوانان ، حرقت الاول منهما ، واخفيت الثاني . لذلك انصحك بالتريث في النشر حتى يتجمع لديك ما يمثل طاقتك الشعرية على حقيقتها .

ان ابيات الزهو والفخر بشعرك ترددت كثيرا في الديوان مثلما رددها المتنبي وشوقي ، ولا انازعك حقك فيها ، ولكني اقول انها سابقة لاوانها .

خذ هذه الكلمة من اخ كبير يريد لك الخير والنجاح ويثني على لطفك وفضلك نحوه .

اهديك ديوانا مشوها بالتصليح والترقيع (٢) طبع في غيبتي ودون استشارتي وعذر الناشر انه طبعه في باريس حيث تعسر الطباعة العربية ..

ويسافر جورج صيدح الى فرنسا ، ويراسل اصدقاءه ويراسلونه بدورهم ، وفي تاريخ ١٤ـ٧ـ١٩٦٠ يكتب الي من مدينة « فيشي » الرسالة التالية :

« اخي وشاعري العزيز فوزي ،

رحبت مغتبطا برسالتك الكريمة ، مثنيا على عواطفك الاخوية الصادقة العابقة بالمحبة والوفاء ، وشاقني من اخبارك نشاطك الادبي في الانتاج والنشر ، ونظرتك الصائبة الى مجرى الاحداث السياسية في لبنان ، بما تحمله من خير وشر .

ولا اكتمك خوفي من اجتماع الاضداد المتطرفين في ميدان الندوة النيابية ، متسلحين بالطائفية والحزبية والمصلحة الشخصية ، وسنرى نتيجة احتكاكهم في الخريف المقبل .

« جمعية اصدقاء الكتاب (٤) تستأنف نشاطها في نهاية الصيف ، وقد اعدت العدة لمشاريع هامة ، اولها معرض الكتاب ، وثانيها منح الجوائز المالية للمتفوقين ، تركتها وفي خزينتها ستة آلاف ليرة من التبرعات لهذا الغرض ، ومتى تضاعف المبلغ ، توسعت في تحقيق المشاريع الاخرى .

هل الدكتور كمال الحاج (٥) يطيل الاقامة في باريس؟ انا اعود الى العاصمة في مطلع ايلول بعد التجول في سويسرا ، واتمنى معرفة عنوانه للاجتماع به .

وديع فلسطين يقوم بجولة في الشرق العربي ، فلا تلمه على الانقطاع . الشاعر القروي مقيم في قريته « البربارة » التي تعرفها ، عنوان الشاعر الياس فرحات : ليتني في لبنان لاحج الى « بتدين اللقش » واستمتع بجلسة مع استاذنا بولس سلامة ، ارجوك ان تبلغه تحياتي وتمنياتي ، دامت له عافيته ، ولنا مودته .

وختاما ادعو لك بهناء العيش ، وصفاء البال ، حتى نرى عن قريب اوراقك المكشوفة (٦) وديوانك الغزلي (٧)»

وفي خلال عام ١٩٦٠ نفسه ، اصيب الشاعر جورج صيدح بنكسة صحية خطيرة اقلقت عليه اصدقاءه ومحبيه وبتاريخ ٣ـ١٠ـ١٩٦٠ ، كتب الي من باريس الرسالة التالية :

« اخي وشاعري الاستاذ فوزي

اكبرت مروءتك ، وتأثرت بعاطفتك نحوي ، وايقنت ان « صداقة الشعراء نعم المقتنى » .

اطمئنك ان ساعتي لم تأت بعد ، بل تأجلت الى موعد يعلمه الله (٨) وتراني استعيد نشاطي ، وابدا اليوم بالرد على مراسلات الاخوان ، موجها كلمة اليك ، واخرى لواسطة العقد الاخ وديع فلسطين ، وثالثة الى ابير اديب الذي عرف بالخبر منك .

ان دعوانا بايثار الروح على الجسد فيها شيء من الرياء الشعري . والا فما معنى الفحوص المتواصلة ، والعمليات الجراحية ، وادوار النقاهة ، والمداراة حفاظا على البدن الفاني ؟

وليست جهنم الا الحياة اذا طال عمر الفتى المبتلى

هذا من شعر المدرسة ابان المرض ، استشهد به اليوم ، بعد مرور خمسين سنة . وقاك الله شر الامراض ، وحبا كما تشتهي من سعادة الحياة .. هذه تمنياتي مع تحياتي وعواطف مودتي ، اسوقها اليك مخلصا شاكرا » .

ومن مضيفه الفرنسي في « لابوربول » ، يوافيني شاعرنا المهجري الكبير برسالة مؤرخة في ٢٣ـ٨ـ١٩٦٢ ، وقد جاء فيها :

« صديقي وشاعري العزيز الاستاذ فوزي عطوي

حياك الله ، ما اوفاك صديقا ، وما احسنك كاتبا ، وما ارقك شاعرا .

اسعدتني برسالتك الكريمة ، وفرحتني باخبارك الاخيرة التي هي سلسلة بهجات تشرح الصدر ، وابتداء بديوانك الجديد (شموع المعبد) وانتهاء بالخطوبة القريبة ، ومرورا بنجاحك في امتحانات الحقوق ، وعزمك على متابعة الدرس ، رغم فروض العيش ، ونزعات القلم التي تستأثر بوقتك وبجهدك .

واني لمكبر فيك هذه الهمة ، وهذا السلوك الرصين في ميعة الشباب ، وفي قلب لبنان المشحون بالتجارب والمغريات .

طاب لي ان تثق بمودتي ، وان تستشهد بعواطفك على صدق عواطفي نحوك ، فلا يخامرك ريب في غلبة الصداقة الاخوية على الفراق مهما طال ، وعلى ضياع الرسائل مهما تكرر .

اما الكلام على مشاريعي الادبية الجديدة ، وعلى إنتاجي الشعري الاخير ، فأحيلك على جوابي للدكتور جميل جبر المنشور في « الجريدة » (وهو حديث شفهي معه في باريس) . اني تقاعدت باختياري ، واخليت مكاني للشباب العبقري ، وانصرفت الى تهذيب نفسي بمعاشرة المهذبين من الناس ولو كانوا غرباء ، والى اصلاح كل خراب في ثقافتي ، بواسطة المطالعة والتأمل . هذا ما يسمونه « محبة العلم للعلم » ، لا لغرض اخر ، حتى ولا للنشر ، وان الله يحب التائبين .

ارى ان علاقتك بجريدة « بيروت المساء » عادت الى ما كانت عليه (٩) وقد قرات المنشور فيها من مقال الدكتور « مورينو » عني ، ولكني لم اقرا قصيدة فرحات، وربما كانت تلك الابيات التي مدح فيها الشيخ ...... لانه انعم عليه بهدية (١٠) .

كتابي « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » يهم الكثيرين من اصحابي ، ولا وجود له في الاسواق الان . ولكن الاخ وديع فلسطين عجز عن اخراجه من القاهرة ، وصار يكلف الاخوان الكرام امثالك(١١) بنقل ما يستطيعون منه . وقد احسنت بحجز النسختين الباقيتين عندك ، لان اثنين من اصدقائي بحاجة اليهما : الاول الاستاذ نظير زيتون في حمص ، والثاني الاستاذ فريد جحا في حلب (شارع الحمراء ، حي السبيل) . فهل تغفر لي ان حملتك مشقة ارسال نسخة بالبريد الى كل منهما ؟

حنا غصن في فرنسا اليوم (١٢) ولا يحتاج الى الكتاب .

بعد اسبوع تنتهي عطلة الصيف بالنسبة الي ، واعود الى مقري في باريس حيث اتوقع استئناف المراسلة مع الاحباب ، واخصهم الاخ وديع فلسطين .

اما لقاؤنا في بيروت ، فغير وارد هذا العام ، وانا قانع على مضض باللقاء على صفحات الرسائل ، فلا تحرمني من انس وجهك . واقبل شكري الصميم على كل ما تتفضل به من اللفتات الاخوية ، مع دعائي لك برعاية المولى وسعادة الحياة » .

وعندما قرأ جورج صيدح في باريس ديواني الثاني « شموع المعبد » الصادر عام ١٩٦٢ ، نظم القصيدة التقريظية التالية المؤرخة في ٢٢-١١-١٩٦٢ ، وفيها يقول :

ابشر ، شموع المعبد   شقت طريق الفرقد
وغزت بروح النيرات   براسها المتوقد
لغة القلوب تجددت   بلسانها المتجدد
نور الكواكب للعيون   ونورها للاكبد
اعيا الرياح لهيبه   ولوى اكف الحسد !
قل للشموع الذائبات   تركت دفنا سرمدي
كم بين ظلك والدخان   رافص الامل الندي
واستروحت ام اللغات   شميم عهد السؤدد
يوم الفصاحة كالنبوءة   في شفاه المنشد
وامارة الشعراء اشرف   من امارة سيد !
يا شعر فوزي ، ان شعرك   بالخلود لمسعدي
بعد الشموع الا شموس   تطل من افق الغد
وتخط في اسطورة الاشعاع   حرف الابجد
شنفت آذان الديار   بدرك المتنضد
شعر نفى قلق الجمال   على القوافي الشرد
وحدا بطلاب الهدى   ان يقتدوا بالمهتدي

ولم يكتف الصديق الشاعر الكبير بقصيدته الرقيقة في امتداح الديوان ، بل اتبعها برسالة نقدية حول « شموع المعبد » مؤرخة في ٢٥-١١-١٩٦٢ ، وقد كتب الي فيها :

« شاعري العزيز ، وصديقي الكريم

ارسلت اليك منذ ثلاثة ايام ، تقريظا لديوانك الجديد « شموع المعبد » في ابيات من الشعر استوحيتها من الحانك التي رنحتني رخامتها ، ومن كلمة الاهداء التي اثرت بي رقتها . فلا ازيدك برايي في هذا الديوان ولا اريدك معجبا بشعرك الى حد الوقوف حيث انت ، بعد ان خطوت خطوة واسعة منذ ديوان «دم وفم» ولم يزل امامك خطوة اوسع للبلوغ الدرجة المستطاعة من درجات الكمال لمن كان له مثل موهبتك الاصيلة .

واني ارى شيئين ينمان عن تلك الموهبة : الحيوية النابضة في شعرك ، والموسيقى المنبعثة منه . لولاهما لما طربت له ، ولما تاثرت به .

في حداثتي كان لا يستهويني من الشعر الا الغناء . والان لا اقنع بالغناء ان لم يرافقه فكر يغني للذهن . اما حيث يكون الفكر ولا تكون الموسيقى فلا اجد الشعر . هذا ذوقي ، ولا جدال في الذوق . ولا تؤاخذني انت ان فهمت شعرك ونقدته بحكم ذوقي الخاص .

عندك مقطوعات يبرز فيها الانفعال الصادق ، والانخطاف الشعري عفو السجية (رسالة النجوى ، هاتف ، بوح ، عطش ، حكاية ، مراهقة ، وامثالها) . هذه عيون شعرك ، ومن عيون الشعر المعاصر اجماعا . الشعر هو الذي جرى وراءك يبحث عنك لكي تنظمه ، فنظمته بتوفيق .

اما حيث عدوت انت وراء الشعر لتقبض عليه وتنظمه فهناك الفتور والقصور : الالفاظ تتحكم بشعرك ، وهي التي تقودك الى المعاني ، بينما المعاني يجب ان تتحكم بالالفاظ وتطوعها لمراد الشاعر .

لذلك يختلف جو الغزل في المقطوعة الواحدة بين صورة العاشق الذي يتوجع ، والعاشق الذي يتمتع ، والعاشق الذي يتمنع ، والعاشق الذي يترفع ، وتضيع الطاسة على القارىء !!

في هذه الحالة ، تغيب شخصيتك الشعرية وراء شخصيات تأثرت بها . فتارة انت عمر ابو ريشة ، وتارة سعيد عقل ، وطورا نزار قباني ، وتنسى ان افضل حالاتك هي عندما تكون فوزي عطوي كما انت .

فاحتفظ رعاك الله بشخصيتك في شعرك ، ولا تستوح غير نفسك .

ولي ملاحظات ثانوية : ففي مطلع ديوانك ، تقول : « اقبل الليل فاطرح الاثم واسجد » . صدمتني هذه الضمة قبل حرف الروي ، بينما هي مفتوحة في سائر ابيات القصيدة ، وما دام الروي ساكنا ، فالحركة التي قبلة هي النبرة الموسيقية في القافية . ليتك استبدلت كلمة « اسجد » بكلمة « اشهد » او « انهد » .

– وفي آخر بيت : « كشموع تذوب في ظل معبد » . انت تعرف المعابد ، وان الشموع توضع وتذوب في صحنها لا في ظلها ، فكان الاصوب ان تقول : « في صحن معبد » .

– في الصفحة ١٧ ، لا احب كلمة « اذ اغني » في السطر السادس ، لتصوير الحبيبة ساعة الوداع ، والبيت الاول لا ينسجم مع ما بعده .

– في الصفحة ٢٧ : قصيدة « عودة الحبيبة » مختلة الوزن (١٣) وهذا امر غريب صدوره منك بسليقتك الموسقية . فالبيت الاول من البحر السريع ، ومثله العجز في البيت الثاني والبيت الثالث . اما الصدر في هذين البيتين : « بغير يدي رطيب الجنى » ، و « واي حبيب شجاه الهوى » فهو من المتقارب . وتمشي القصيدة على هذا البحر المتقارب الى اخرها ما عدا الشطر الاول من الصفحة ٢٩ : « لا تسالي العفو وتسعطفي » الذي يعود الى البحر السريع . ولاحظ السطر السادس في الصفحة ٢٨ ، حيث الشطر مكسور الوزن .

– في الصفحة ٤٠ ، تقول :

لماذا احبك ؟ هذا سؤال   جواب الحبيب عليه محال

افضل عليه قول : « جواب المحب » لا « جواب الحبيب » كما تقول !

– في الصفحة ٥٥ : السطر الثاني : «بشوك الشوق» ما اثقلها على السمع ! شين وراء شين . لو قلت : « بشوك الوجد » لكان افضل .

– في الصفحة ٦٢ ، قصيدة : « ورد عنها الطرف يا قمر » سرقت اختراع يوسف الخال : « اليموج ، التغازل » ولا احسدك على السرقة (١٤) .

– في الصفحة ٧٧ : السطر الثالث ، تقول : « وحبي انت » (١٥) الواو زائدة وتكسر الوزن . وفي السطر الثاني لا احب كلمة « فراغات » واقترح « غيابات » بدلا منها .

– في الصفحة ٩٢ ، السطر العاشر : « برقة العبير » اظنها « رفة العبير » !

– في الصفحة ١٤٣ ، السطر الاول تقول : «بجنحه» وتريد : « بجناحه » هذا غير ذاك .

– في الصفحة ١٥٥ ، السطر السادس : « ولما يطيب » صوابها : « ولما يطب » فيختلف المعنى . وانت تريد : « عندما يطيب » ، قل اذن : « ويوم يطيب ».

– في الصفحة ١٦٥ ، السطر الاول : « عيبها انها تنسى » . كلمة « انها » نقلت البيت من شعر الى نثر لا يخضع لاي وزن .

وبعدها ياتي جدول التصويب ، وهو مضطرب يحتاج الى تصويب .

لا اطيل عليك كيلا تمل ، وتلعن الساعة التي اهديتني فيها ديوانك . سامحني على جراتي ، واقبل تحيتي .

ومن جستاد في سويسرا ، يكتب جورج صيدح الي رسالة مؤرخة في ١٧–١–١٩٦٣ يقول فيها :

« شاعري العزيز ، موقد « الشموع » !

رحبت برسالتك الرقيقة (١٧–١٢) التي تبعتني الى جبال الثلج في سويسرا حيث استجم ، واطربتني بنبرات المودة ، ونغمات العواطف الصادقة .

واحسن فاتحة لجوابي عليها هي تهنئتك بالخطبة السعيدة التي قامت في نظري ، ونظر الصديق وديع فلسطين عذرا لك على السكوت الطويل . انها قصيدة فريدة في حياة الشاعر ، تملأ قلبه ، وتشغل ذهنه اكثر من ديوان . تفضل بتقديم تمنياتي الى الانسة ليلى البيسار بتمام الافراح :

هذا الزواج قصيد   بالشاعرين تنظم
الصدر وحي تسامى   والعجز سحر تبسم

ومع الشكر لاستحسانك ابياتي ، ولتقديرك ملاحظاتي ، احذرك من الاعتماد على رايي في المواضع التي لا توافقني عليها . فانا اخطيء عشر مرات قبل ان اصيب مرة ، وعليك ان تتحقق بنفسك او تستشير سواي . والحق معك حين تقول : « ان حياة الهوى تناقض بتناقض ، كما قال ابن الفارض قبلك : «فما اختاره مضنى به وله عقل » .

فلا معنى اذا لنقد عقلاني اوجهه اليك ، بعد ان انسحبت من الساحة ، واصبحت في صفوف المتفرجين، ولكن :

واذا ذكرت التائبين عن الهوى   لا تنس حسرتهم على ايامه

اتأمل مشاغلك في الدرس والتحصيل والتدريس والترجمة ونظم الشعر ، فأكبر نشاطك ، وادعو الله بدوامه سببا للتوفيق والتفوق ان شاء الله .

وقد شكرتك على نشر القصيدة في قصاصتين قراتهما من قبل ، واصلحت هفوة المطبعة في البيت الثاني « بروج » والبيت الاخير « طلاب » . والى اللقاء في رسالة اخرى يا عزيزي » .

وفي عام ١٩٦٣ ، يصدر لي عن دار الكاتب العربي في بيروت ديوان ثالث بعنوان « بغداد والثوار » بعد ان كان اسمه الاصلي « دم الثوار » ، وقد ابدله الناشر لاسباب قدرها ولكنها جاءت بعكس المقصود منها . وقد تلقى صيدح نسخة من الديوان في باريس ، فكتب الي وهو في

طريقه الى سويسرا ، هذه الرسالة المؤرخة في ٢٩–٧–١٩٦٣ من محطة جبلية اسمها « شاموتكس » في فرنسا :

« شاعري العزيز الاكرم فوزي عطوي

تكاثرت علي اياديك ، فلا ادري ايتها اشكر . تتحفني بآثارك واخبارك امتع بها نفسي ، وتكرمني التفاتاتك بما ارفع به راسي .

اسمي على غلاف ديوانك الجديد وسام جديد على صدري وشعري على السنة تلاميذك منبهة لذكري . شكر الله فضلك ، وادام لي ودك وعطفك .

اما مجموعتك الثائرة ، فقد ادهشتني بحرارة الشعلة الوطنية المتوقدة في كل بيت من ابياتها ، واوقن انه لو لم تكن عاطفتك ومشاعرك صادقة ومتفجرة من اعماق فؤادك ، لما اتيح لك هذا التوفيق الملحوظ في التعبير عنها تعبيرا رصينا شاعريا .

ويكفي ان يكون في المجموعة قصيدة « يا موطني لن تستباح » (ص ٧٣) حتى تبرر نشر المجموعة ، وتؤيد رايي السابق في شعرك الجميل .

وقد هزتني بنوع خاص ابياتك الخمسة الاولى في صفحة ٨٩ .

اني اهنئك وابارك لك بهذا النشاط الفريد الذي يوسع الوقت لمختلف المهمات ، ويخضع الظروف المادية للانتاج الشعري الثمين ، ويضع في ذات الوقت اساس المستقبل وعماده ، بين الخطيبة والمحاماة .

انا في رحلات متواصلة تستغرق فصل الصيف . اكتب اليك من محطة جبلية تواجه الثلوج الابدية ، في طريقي الى سويسرا ، حيث استعيض عن جمالات لبنان برسائل الاخوان ، واجعل حنيني الى وطني صلاة تقربني من روحه ، دون ان تمسني اظافره .

تقبل دعواتي القلبية الخالصة ، مع تحياتي الى الخطيبة النجيبة واسلم للمخلص » .

وعلى ظهر بطاقة سياحية من « لوشون » يبعث الي جورج صيدح بهذه الكلمات المؤرخة في ١٩–٨–١٩٦٤ بمناسبة تخرجي من كلية الحقوق في بيروت : « هنـاءك بالمحاماة ، وهناءها بك ، يا من جمع المجد من اطرافه ، وحمل الحقوق على اكتافه .

عافاك الله ، وادام نصرك وشعرك ، في قضايا القلب والادب ، اشرف القضايا ، واذكر من يذكرك بالخير والمحبة » .

وتنقطع عني رسائل صيدح ، بعد ذلك طوال عام كامل ، ثم اتلقى منه بطاقة صادرة عن مدينة جنيف السويسرية ومؤرخة في ٧–٨–١٩٦٥ ، وتحمل صورة جزيرة « جان جاك روسو » وقد جاء فيها :

« ادركتني اياديك ، وانا اضرب في الافاق ، واتناسى الاشواق . ولكن رسالتك ذكرتني ، ومحبتك غمرتني ، كاني لم ازل شيئا مذكورا في بلاد « الواق واق » !

وكان عزمي ان اصحح بخطي نسخة من كتابي (١٧) وان اقدمها اليك ، ولكني لا اعود الى باريس قبل شهرين ، ولا اسمح لنفسي بتأجيل طلبك مدة طويلة .

لذلك كتبت الى دار النشر ان ترسل اليك نسخة هدية بدلا عن الطبعة الثانية التي تخلصت مِنها .

اني اتابع نشاطك الادبي مزهـوا ، داعيا لك بدوام التوفيق في كل ما تعمل وكل ما تكتب ، واجدد لك عواطف محبتي » .

وفي ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٦٥ ، افقد طفلي البكر « سامر » فيقرأ جورج صيدح قصيدتي الرثائية فيه وعنوانها « الى سامر » (١٨) ، فيكتب الي بتاريخ ١٢–١٢–١٩٦٥ رسالة من باريس جاء فيها :

« عزيزي الاخ فوزي

تفطر قلبي وانا اقرا زفراتك المنظومة في ابياتك المنغومة ، تفجعا على الوليد الحبيب ، باكورة زواجك الذي كان سلامه وداعا ، وكانت زيارته اوجاعا ، واي اوجاع له ولامه وابيه ، اسأل الله ان يلهمكما الصبر والرضى ويعوض عليكما بشقيق له يأسو جراحكما ، ويملأ الفراغ في قلبيكما ، فما اسرع التئام الجرح لمن كان في سنكما ، شرط ان تبقى المعنويات في ريعان شبابها مثلكما.

فتفرح امه بنداء ماما وتفرح انت حين يقول بابا (١٩)

انا لم اكن موفقا في صحتي هذا العام ، ابتداء من الخريف ، فحالما انتهت رحلتي السندبادية في شمال اوربا ووسطها وجنوبها ، انتابتني العلل عقابا على التفريط بقوة ابن السبعين ، اثناء الرحلات . فكنت انتقل من سرير المنزل الى سرير المستشفى حتى منتصف الشهر الماضي . اما الان ، فالنقاهة آخذة دورها ، والعافية قادمة على مهل ، تتعثر بالشيخوخة الزاحفة آنا ، وتتشبث بأذيال الشباب الهارب احيانا ، ولا غالب الا الله ولا عالم بالاجل سواه .

لم تقل لي كيف صحة الزوجة الكريمة ، بعد هذه المحنة ؟ وكيف حالك في عملك الوزاري ؟ وكيف انتهت القضية القائمة بين الحكومة والجامعة ؟ وهل احتجبت نهائيا مجلة « رسالة التربية » التي كنت تشرف على تحريرها ؟

اما اخطاء كتابي ، فقد كتبت لائحة التصويب لمائة منها ، وارسلت اللائحة للناشر فلم يعبأ بها . هل عندك وسيلة لطبع هذه اللائحة ؟

اعزيك بالفقيد فؤاد جرداق . انا لا اعرفه ولا اعرف شيئا عنه . هل هو نسيب لجورج جرداق مؤلف الاسفار عن الامام علي (٢٠) .

هذه الدقيقة قاطعني رنين « التلفون » فاقبلت على المنادي ، فاذا هو اديب العرب امين نخله (٢١) . وصل

الساعة من روما ، وهتف الي قبل ان يفتح حقائبه ، واتفقنا على مواعيد الاجتماع ، سأنشق عبير الادب اللبناني من حديثه الطيب .

تحياتي اليك ، وعواطفي معك ، وتمنياتي تتكرر هذا العام بسعادة حياتك ، وحياة ذويك الكرام .

لي اقتراحات على قصيدتك « الى سامر » :

ــ البيت الاول ، تقول فيه :

اطل ومثل ومض البرق غابا   وخلف في جوارحنا عذابا

في الصدر لم تعجبني كلمة « مثل ومض البرق » . اقترح : « أطل كبارق حيا وغابا » . وفي العجز لا ارى القافية « عذابا » منسجمة . اقترح : « وخلف في نواظرنا الضبابا » .

ــ اضافة : بعد البيت الثالث ، خطر لي ان اقول :

هو الجاني البريء استقدموه   فجرح امه لما استجابا
ولاذ بعرش باريه بكيا   يصلي كي يوفيها العذابا
ملائكة السماء تلقفته   ملاكا مثلها ركب السحابا !

ــ البيت الرابع ، تقول فيه :

دعوتك « سامرا » لتكون خلي   وتنسيني المكاره والصعابا

في العجز افضل « ادود به » بدلا من « تنسيني » .

ــ البيت السادس ، تقول فيه :

وكم واعدت بالامال روحي   اذا ما انت ادركت الشبابا

في الصدر افضل : « وكم عللت » بدلا من « وكم واعدت » .

ــ البيت السابع الذي تقول فيه :

وكم ثوبا « لسامرنا » شرينا   فكيف خلعت يا ولدي الثيابا

لم يوضح الفكرة الرائعة بمبناه الضعيف . اقترح :

وكم ثوب حريري شرينا   فما دشنت يا ولدي الثيابا

ــ البيت الخامس عشر تقول فيه :

فان الموت حق . غير اني   فؤادي من وجيع الحزن ذابا

في العجز كلمة « من لهيب الحزن ذابا » افضل من « وجيع » .

وانصح بأن تستغني عن البيت الثامن :

وكيف رغبت عن عيني فراقا   وكيف ملأت كاس العمر صابا

فمعناه مكرر ، وبناؤه مقلقل .

اما البيت التاسع :

لماما كيف لم تهمس : « وداعا »   وكيف حرمتني من قول : (بابا)

فهذه آية القصيدة ، وستنفطر له آلاف القلوب » .

ورغم كل ما اكنه للشاعر المهجري الكبير جورج صيدح من محبة وتقدير ، فقد آثرت ، لسبب وجداني صرف ، الا اجري اي تعديل على القصيدة التي نظمتها بالدموع والاحزان ، قبل ان تعنيني منها النواحي الفنية .

ولما اصدرت مؤسسة المعارف في بيروت عام ١٩٦٧ ديواني « تحت الرماد » ، كتب الي جورج صيدح من باريس بتاريخ ١٣ــ٤ــ١٩٦٧ ما يلي :

« عزيزي الشاعر الموحي ، والابن الموحي

لشعرك طعم العجين اختمر   واصبح في الفرن خبز البشر
و « تحت الرماد » سعير الفؤاد   يحس به من دنا واجتمر
حباني من الدفء ما اشتهيه   لروحي ، بلا لهب او شرر
ومن لم يجد نفسه في الرماد   وما تحته من تليد العبر
يجدها على شرفات الفراغ   تدحرجها لطمات الغير
كتبت على اللوح للمهتدين   وفصلتها سورا في صور
بلاغ اذا لم يوحد قوانا   فموعدنا وحدة في سقر

سهرت البارحة معك ، فلم استسلم للنوم الا بعد ان نظمت في ذهني هذه الافكار ، بعد ان اتيت على مجموعتك الجديدة « تحت الرماد » .

وها انا بين يديك ، في بكرة الصباح ، بين ارتشاف القهوة وانتظار ساعي البريد ، اسجل حديث الليل ، مع آية الشكر على الهدية ، وعلى الاشارات المدونة فيها عني، تنبيها بذكري ، وتقديرا لشعري .

ثم اشهد بلا محاباة بانك في هذه المجموعة ارصن بيانا ، وارسخ قدما مما كنت عليه في المجموعات السابقة، ولكنها رصانة وجزالة وفخامة لا تتوفر الا على حساب الرقة والبساطة والعفوية ، ولعلها الاسلوب الانسب للمواضيع التي عالجتها ، والله اعلم .

ان كان لي ان الومك على شيء ، بشفاعة الدالة القديمة التي لي عندك ، فعلى العجلة الظاهرة في نظم شعرك ، والانفة من المراجعة والصقل والتجويد الذي هو في وسعك متى صبرت واجتهدت ، كما يفعل غيرك من الشعراء .

يلوح لي انك ، عندما تقع على تعبير ملائم لفكرتك ، تقنع به، ولا تطمع بتعبير احسن او امتن، يأتيك لو طلبته . فالاتقان من الايمان ، وكفى ان يوصي به القرآن . وانت الآن تتدرج بطبيعتك على سلم الاتقان تدرجا بطيئا . ولكنك لو ساعدت الموهبة بالجد في الصناعة ، لكانت خطواتك اوسع واسرع . وهذا ما اريده لك حبا وكرامة .

يدفعني الى هذه الملاحظة وقوعي على بعض كلمات في غير موضعها ، وكان يسيرا عليك تبديلها ، ومروري ببعض عبارات ضعيفة السبك ليست من نصاعة اسلوبك العام ، فلماذا لا تعطيها حقها من الاهتمام ؟

ــ في الصفحة ٣٣ ، القافية في القصيدة مضمومة . فهل يجوز ضم القافية في البيت القائل : « صفو لعمرهم، قلت لحبهم » ؟

عندي ان الميم مكسورة بكسر ما قبلها ، فلو قلت : « قلب يحبهم » لجاز .

ــ وفي صفحة ٣٥ تقول : « ما يمنع الحرف ان نلقاه قنبلة » ؟ اخالك تعني ان نلقيه (٢٢) قنبلة ، كما تطلق الرشيش في الشطر التالي .

ــ في صفحة ٤٠ تقول :

ستضم شعبك وحدة كالله لا تتحطم

فاما ان تقول : « كالله لا تتقسم » ، او تقول « كالصخر لا تتحطم » .

هل الحبب من وسائل الرواء ، بينما هو فقاقيع من نتائج الرواء ، تنظم كالدر ، ولكنها لا تروي غليلا ؟

— في صفحة ٨١ تقول :

الخلد يخفض هامه لمكانتي ... وامام شعري كل مجد يصغر

(تخنتها يا رجل !) ذكرتني بقول المرحوم سعيد تقي الدين ، كلما سمع فشرا : « نحن العرب خلقنا التواضع » اما انت ، فبعيد عن شرف التواضع في هذا البيت الضال!

— في صفحة ١١٠ « الى سامر » . هذه قصيدة كانت مرشحة للخلود لو عملت على تهذيبها ، مسترشدا بجوابي لك عنها ، حتى تطابق الواقع الاليم بملابساته ، وتمثل شعور القراء في ظروف مماثلة ، فيتأثروا بها ، ويتناقلوها .

هذه مساطر تفسر ملاحظتي التي لا اصر عليها ، ان لم ترتح اليها . وعلي ان اقول انها لا تعم القصائد كلها، بل بعضابيات منها . فهناك قصائد تستغني عن كل صقل . مثلا : قصيدة « الوحدة الجريحة » رائعة ، ولا سيما قولك :

نحر العروبة ، كبرياء ... الدهر ، اقداما وهمه
لسنا ننقل خطونا ... من قمة الا لقمه
ولربما رحنا نقطف ... نجمة في اثر نجمه
حتى نوحد دولة ... ونزف للعلياء امه

وقصيدة « نحن المحامون » في الصفحة ٧٤ رائعة ومثلها « حكاية شاعر » في الصفحة ١٢٩ فهي رائعة ايضا

اما دفاعك في « المقدمة » عن شعر المناسبات ، فقد وضع اصبعك على جرحي . ارجوك مراجعة فصل «شعر المناسبات » في كتابي : ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية» تعرف موقفي .

وسوف تسمع انتقادا على مدح صيدح وغيره في خاتمة كتابك . قبلك ايليا ابو ماضي سجل في ديوان « الخمائل » قصيدة قالها في حفلة تكريمي ، في نيويورك، فقامت عليه قيامة الحساد والجهلاء .

دم موفقا ملهما كأب وزوج وشاعر ومحام وصديق» .

والحقيقة ان جورج صيدح الذي كان يأخذ علي بعض العجلة في شعري ، كان لا يمل من اعادة النظر في شعره ، ومن تعديله الى ان يأتي على اقرب صورة ترضيه . وهكذا فانه ما لبث بعد يوم واحد من كتابة الرسالة السابقة الي حتى اتبعها برسالة جديدة (مؤرخة في ١٤ـ٤ـ١٩٦٧) ، تتضمن تعديلات كثيرة على قصيدته التقريظية لديواني « تحت الرماد » وقد جاء فيها :

لشعرك طعم العجين اختمر ... خبيزا بفرن الرؤى والفكر
و « تحت الرماد » سعير الفؤاد ... يحس به من دنا واجتمر !
حباني من الدفء ما اشتهيه ... لروحي بلا لهب او شرر
ومن لم يجد نفسه في الرماد ... وما تحته من صنوف العبر
يجدها على هبوات السراب ... تطير شعاعا الى المنحدر
كتبت على اللوح نص البلاغ ... وفصلته سورا في صور
بلاغ اذا لم يوحد قوانا ... فموعدنا وحدة في سقر

ابادرك بنسخة منقحة من الابيات المرسلة اليك ، امس ، حتى تعتمد عليها ، ان خطر لك نشر تقريظي لمجموعتك . وتجد اني لا امل التغيير والتركيز حتى يشمل التعبير دقائق فكري من جهة ، وحقائق الواقع من جهة اخرى .

اني شاعر واقعي ، قبل كل شيء ، وطبعا يجب ان استعمل الخيال في تصوير الواقع (اذ لا شعر ممكن بلا خيال وصور) ، ولكني لا اسمح للخيال ان يناقض الحقيقة الحياتية ، فيفقد روحه وتأثيره . وعندي ان جمال الشعر الواقعي ليس في تحليق فروعه في السماء بل في ترسيخ جذوره في الارض ، منها يستمد قوته وبدونها يصبح رغاء ويذهب جفاء .

وامامك الان التعديل الذي اجريته على الابيات ، تفهم فيه تشبثي في دائرة الصورة الواقعية الطبيعية . فما بعض ابيات منها . فهناك قصائد تستغني عن كل صقل . دمت اتكلم على الرماد والنار وملابساتهما ، يجب ان ابقى في هذا الجو ، وان لا اخرج من اطار كتابك « تحت الرماد » . كما ان المبالغة في البيت الاول « خبز البشر » تعرضني للانتقاد ، فعدلت عنها .

كل ما نظمته يا اخي ، خارج اسلوبي الواقعي كان فاشلا لن يبقى له صدى . اما قصائدي الساذجةالمجونية، منذ عهد المدرسة الى اليوم ، فقد تناقلتها الافواه دون معرفة اسم ناظمها . منها ما تلحن وتقش على اسطوانات (مثل نجمة الليل) ومنها ما يدرس في مدارس الحكومة (مثل : دير ياسين ، مدرسة عنطورا ، وطني ، جبل البلور) ممهورا باسمي .

وشعري المخطوط اكثر من المطبوع ، ولكنه مبعثر، ولا سبيل الى جمعه . منه دفتر يوميات سجلت فيها انطباعات رحلة الى لبنان وسوريا عام ١٩١٩ ، لما اقفلت متجري في القاهرة ، وسافرت لاتفقد اهلي بعد عذابات الحرب العالمية الاولى .

اضطررت منذ اسبوع للبحث عن هذا الدفتر ، للاستشهاد بابيات في معرض دراستي لديوان حافظ جميل البغدادي ، فكانت فرحتي عظيمة بالعثور عليه ، وسانسخ منه قصيدة اسليك بها ، لربما تقول انه لو جرت مباراة في الشعر الواقعي لما فاتتني الجائزة » .

ومن عزلته الجبلية في شاتيل بمنطقة سافوا العليا الفرنسية ، وافاني الصديق الشاعر الكبير ببطاقة تمثل اربعة مناظر لفندق « بال فو » (المنظر الجميل) ، ومعها الكلمة التالية المؤرخة في ٢٢ـ٨ـ١٩٧٢ :

« ادركتني رسالتك البهية ، في عزلتي الجبلية (شبه ارزية) ، ففرحت بها فرح الوالد القلق الحائر بعودة ابنه الشاطر ، وقلت في نفسي :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا ... من كان يالفهم في المركب الخشن

المريض

شحب النور ولاقاه العنا	وغلاه الهم والظهر انحنى
وجهه الغض ذوت نضرته	وعلى الخطو ارتعاشات الونى
عاده بارق عهد قد عفا	طيب كاس قد حساها بالهنا
شمسه راد الضحى قد آذنت	وطوى الديجور لماح السنا
وذوى الروض ، رمى اوراقه	والمنى قد حطمت لحن المنى

بكاسين ـ لبنان

جرجي نصر

وانت ذلك الكريم الشاعر الذاكر ، لم يغيرك كرور الاعوام ، وعلو المقام ، ولم تخطفك النيابة من احضان الصحابة بحمد الله .

اني اهنئك بنجاتك من داء السياسة الذي يبدأ في بلدنا بالنجاسة ، وينتهي بالنخاسة ، تماما كما وصفتها في ابياتك الرائعة :

عدوت الى السياسة مستطارا	فلم احسن سؤالا او جوابا
وكنت اضل ضليل لاني	حسبت الشعب ينتخب انتخابا
بذرت مروءة ، وبذلت حبا	فلملمت الشتيمة والسبابا
ومن عجب الشعوب ، تعق نسرا	وتجحده وتاتم الغرابا !!

اما مقالك عن نجيب حنكش (في مجلة الدبور) فقد ذكره بما نسي من امري ، وامر كتابي (ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية) ، ولعله يغفر لي فضولي .

ادعو لك بالتوفيق في كل ما تطلب ، وكل ما تكتب ، ودم لمحبك »

وفي العدد القادم من « الاديب » ننشر ما تبقى من مطويات الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح ، والمعركة الادبية التي وقعت لي معه ، رحمه الله اخا وصديقا وشاعرا كبيرا .

الهوامش :

١ ـ صدر « دم وقم » في ايار (مايو) ١٩٥٨ ، ووزعته شركة فرج الله للمطبوعات ـ بيروت .

٢ ـ ديوان « النبضات » لصيدح ـ طبعة باريس .

٤ ـ كان صيدح انذاك امينا لصندوق جمعية اصدقاء الكتاب في لبنان .

٥ ـ كان الدكتور كمال يوسف الحاج رئيسا لقسم الفلسفة في الجامعة اللبنانية ، وقد خطف عام ١٩٧٦ من قريته « الشبانية » واغتيل ، لظروف سياسية ، وكان رحمه الله صديقا حميما للطرفين .

٦ ـ الاوراق المكشوفة ، مخطوطة لم تطبع لفوزي عطوي .

٧ ـ ديوان « شموع المعبد » الذي صدر عام ١٩٦٢ .

٨ ـ عاش صيدح بعد ذلك مدة عشرين عاما ، اذ توفي بتاريخ ١٠ـ١ـ١٩٧٨ .

٩ ـ كان فوزي عطوي قد انقطع عن «بيروت المساء» ثم عاد الى العمل فيها عام ١٩٦٢ .

١٠ ـ ثارت بعد ذلك معركة حامية الوطيس بين صيدح وفرحات على صفحات الدوريات العربية والمهجرية .

١١ ـ كان فوزي عطوي انذاك في زيارة للقاهرة .

١٢ ـ صاحب جريدة « الديار » وكان صهرا لجورج صيدح .

١٣ ـ ليس في الامر اختلال وزن ، بمقدار ما هنالك اعتماد من الشاعر لبعض الجوازات الشعرية التي اوقعت هذا الاشكال بين البحرين المشار اليهما في نقد جورج صيدح للقصيدة .

١٤ ـ ليس الخال هو مخترع هذه الصيغة التي بها تدخل «ال» التعريف على الافعال المضارعة ، وانما هنالك امثلة كثيرة في الشعر القديم تدل على ان الصيغة كانت معروفة منذ عصور سالفة .

١٥ ـ من الرجوع الى شموع المعبد ، يتضح ان هذا خطا طباعي وقد صوب : « حبي وانت » .

١٧ ـ ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية .

١٨ ـ وقد نشرت في صفحة ١١٠ ـ طبعة ١٩٦٧ من ديواني « تحت الرماد » .

١٩ ـ اشارة الى قول فوزي عطوي في قصيدته :

لماما كيف لم تهمس وداعا ، وكيف حرمتني من قول بابا !

٢٠ هو في الواقع شقيق الاستاذ جورج جرداق وقد كان شاعرا ومهندسا زراعيا ومناضلا وطنيا كبيرا .

٢١ ـ توفي امين نخله عام ١٩٧٦ في بيروت ، بعد مرض العقده .

٢٢ ـ المقصود حقيقة : « ان نلقاه » بمعنى « ان نجده » .

بيروت ـ شارع الجامعة العربية
بناية اسكندراني ـ رقم ٢ ـ الطابق السابع

فوزي عطوي

سالت البنت الصغيرة الواقفة على زلاجتها ، الرجل الذي يقوم بتسوية الاسمنت الناعم على افريز الشارع :

ـ الديك قط ؟

قال الرجل :

ـ لدي قط كبير ، يقول مياووو.

نظرت البنت الصغيرة الى الرجل الذي كان قد جثا على يديه وركبتيه مستعملا المسطرين بخفة في تسوية سطح الاسمنت الناعم . ورات ان حكاية القط الكبير مثيرة ، والطريقة التي ماء بها الرجل رائعة حقا . وكان بالاحرى ان يكون القط الكبير نفسه، وهو جاثعلى يديه وركبتيه.

قال :

ـ مياوو ، مياووو .

ثم رفع راسه مقلدا القطط ، ومطلقا صرخة نائحة .

لم يكن يمزح قط . وكان هذا هو الشيء المثير للقط . فأحبت القط كثيرا .

كان الرجل يؤدي عمله في افريز الشارع منذ الساعة الثامنة صباحا والان تقترب من العاشرة والنصف . تحيط به جيرة محببة . المنازل المتناسقة ، متشابهة ، والازواج موظفون ذوو دخول صغيرة . والزوجات ، ربات بيوت رقيقات . ولاعبو البريدج ، والمستمعون الى المذياع . انصت الى مذياع المنزل المجاور طول الصباح . فرقة جاز رائعة من شيكاغو . بالاضافة الى مذيع حاضر البديهة . لم يسمع كلماته بوضوح ، ولكنه فطن الى حضور بديهته من الطريقة التي نطق بها كلماته ومن نبرات صوته . ومن طريقة القاء الفكاهة . كانت الموسيقى هادئة جدا في الصباح . وايضا فطن الى ان البحر ليس بعيدا جدا ، واستنشق هواءه . احب العمل كثيرا ، لدرجة تقترب من الرسالة . كان وسط المدينة حيث الضوضاء الصاخبة ، والفقراء ، والمدينة نفسها التي عرفها جيدا . وعند غروب الشمس ، يبارح هذا المكان ، فيتغير الحال ، حيث يتنفس براحة ويستنشق هواء البحر والمروج الخضراء .

لم يكن شابا طوال سني عمره ، ولكنه كان عاملا امينا ، بسيط التفكير ، رحيم القلب ، ولديه قدرة الشباب على الاندماج في اي شيء طيب يصادفه في طريقه .

كان سعيدا بوصول البنت الصغيرة وهي تتزحلق ، وبسؤالها عن القط .

سألت البنت الصغيرة :

ـ اهو قط طيب ؟

قال :

ـ احيانا يكون طيبا ، واحيانا

بقلم وليم سارويان

ترجمة حسني سيد لبيب

•

يكون شريرا .

سألت البنت الصغيرة :

ـ متى يكون قطك طيبا ؟

اجاب الرجل :

ـ عندما يصطاد فارا .

وسألت البنت الصغيرة :

قصة

ـ ومتى يكون شريرا ؟

واجاب الرجل ، وهو يستنشق عبير البحر ويحس بالحيوية والسعادة :

ـ عندما لا يصطاد .

فكرت البنت الصغيرة في هذا فترة طويلة ، عشر ثوان او احدى عشرة . وقال الرجل ، وهو يتهيأ لسؤال اخر :

ـ مياوو ، مياووو .

سألت البنت الصغيرة :

ـ كيف يصطاد القط الفار ؟

اجاب الرجل :

ـ حسنا ، في البداية يختبىء القط . فيخرج الفار . وحينئذ يخطف الفار ، و .. وداعا للفار .

قالت البنت الصغيرة :

ـ وداعا ؟

قال الرجل :

قالت البنت الصغيرة :

ـ وداعا !

قال الرجل :

ـ بالتأكيد ، يأكل القط الفار .

سألت البنت الصغيرة :

ـ هل اساء اليه ؟

قال الرجل :

ـ اعتقد ان القط هو الذي يؤذي الفار .

وقال :

ـ هو لا يؤذي القط ، ولو ان القط يحبه .

وقال :

ـ مياووو .

اقبل ولد صغير وهو يتزحلق ، ووقف الى جوار البنت الصغيرة . وسأل الرجل :

ـ ماذا تعمل ؟

قال الرجل :

ـ اصلح افريز الشارع .

قالت البنت الصغيرة للولد الصغير :

ـ عنده قط كبير يصيد الفئران.

سأل الولد الصغير :

ـ ما اسمه ؟

قال الرجل :
ـ النمر .
قالت البنت الصغيرة :
ـ مياوو .
قال الرجل :
ـ اجل ، مياوو ، مياوو ، مياوو
قال الولد الصغير :
مياوو .
وبدون التفوه بكلمة واحدة ، مشى الولد الصغير والبنت الصغيرة معا ، وهما يقولان « مياوو » .
اوشك العمل على الانتهاء . قام بتسوية مساحة صغيرة من الاسمنت الناعم ثم وقف ، رانيا الى البحر ، مستمتعا بأنسامه المنعشة . وضع ادواته داخل كيس قماش ، وذهب ليستقل العربة ، عائدا الى المدينة .
وعندما رجع الولد الصغير والبنت الصغيرة ، كان الرجل قد انصرف . وقفا معا ينظران الى ما انجزه من عمل لطيف . كان الرصيف بديعا ونظيفا وخاليا من الشروخ .
قالت البنت الصغيرة :
ـ هو الذي عمله . الرجل صاحب القط .
قال الولد الصغير :
ـ لا يزال ناعما . مياوو .
انتقط عصا رفيعة من العشب ، وحفر في الاسمنت الناعم حرفي البداية لاسمه د. ر. وقال للبنت الصغيرة :
ـ ما اسمك الاخير ، يا اللا ؟
قالت البنت الصغيرة :
ـ هاجن .
وحفر الولد الصغير حرفي بداية اخرين في الاسمنت الناعم .
كان حرفا اسمه في ركن ، وحرفا اسم البنت الصغيرة في ركن اخر . نقش بدايات الاسماء باتقان شديد

راى الولد الصغير انه من اللطيف جدا ان ينقش حرفي اسمه في الاسمنت الناعم للرصيف الجديد ، مع حرفي اسم اللا هاجن . وحين يصبح الاسمنت صلدا ، ستظل حروفهما منقوشة على الرصيف دائما . وانه

لشيء رائع . وحين يكبران وينهيان الدراسة بالكلية ، ويرحل هو بعيدا ، ربما الى نيويورك ، او اوروبا ، ثم يعود ويمشي في هذا الشارع ، فيقف فجاة على الطوار ليقرا حروفه على

الاسمنت ، نفس الحروف دائما د. ر. ـ دافيد روميج ـ اسمه هو وا. هـ. ـ اللا هاجن ـ اسم البنت التي احبها .
قالت البنت الصغيرة :
ـ كان رجلا ظريفا .
قال الولد الصغير :
ـ اعرف ذلك .
وقفا معا على زلاجتيهما ، ينظران الى الرصيف الناعم .

ومرة اخرى بدا الولد الصغير يحفر في الاسمنت الناعم ، في منتصف الرصيف الجديد .
حفر حرفا واحدا «م» ، ثم التفت الى البنت الصغيرة قائلا :
ـ كيف تتهجين مياوو ؟
قالت البنت الصغيرة :
ـ مياوو ؟ لا اعرف . اهي كلمة؟
قال الولد الصغير :
ـ انها فعلا كلمة .
وقال ، محاولا ان يتخيل كيف يمكن تهجية هذا النطق :
ـ مياوو .
الا انه لم يستطع تهجيته .
سأل البنت الصغيرة :
ـ ماذا اكتب ؟ انا لا استطيع ان



حسني سيد لبيب

يا ليتها تسأل عني

☆

يا حبها .. يعصف بي هائجا	كأنه موجة اعصار
يا لهب النار الذي لم يزل	يشعل باللوعة افكاري
احس اني منك في جنة	هل تكمن الجنة في النار
يا شوقي العارم .. مهلا ، فقد	اوشكت ان تفضح اسراري
اني لو انكرت بعض الذي	تبديه .. هل ينفع انكاري
وهذه نارك وهاجة	تسري باتجادي واغواري
يا حبها .. يا نغمة حلوة	قد ارقصت عودي وقيثاري
واشعلت في القلب جمر الهوى	متقدا يلهب اشعاري
اسال عن اخبارها ، هائما	يا ليتها تسال اخباري

بغداد ـ ص ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

اتهجى مياوو ، وانت لا تستطيعين .

وطمس الحرف «م» بأصابعه، فتشوه موضع الحرف ، لذا قرر ان يكتب شيئا ما في مكان افضل على الرصيف الجديد .

اراد ان يحفظ في ذاكرته ، الرجل والقط ، حيث ادرك فعلا اهمية ان يقوم بذلك، وبالمثل ادركت البنت الصغيرة .

حفر كلمة « القط » ، وقال :

ـ مياوو .

وقالت البنت الصغيرة :

ـ مياوو .

ثم سارا معا .

القاهرة — حسني سيد لبيب



سعيد ابو الحسن

نيران على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

(٥)

اما نحن الفتية الصغار ، فقد كانت لنا حياتنا الصاخبة ـ خارج نطاق حياة اهلنا : كانت لنا مواسم : مواسم للصيد صيد العصافير . نصلي لها الفخاخ حول (المنقع) صيفا وخريفا ، والمنقع بقعة مستديرة من الارض نصقل وجهها بالماء . ونسوي لها حافة قصيرة ، ونملؤها ماء فيبقى الماء طوال النهار . ونخفي الفخاخ بالتراب الناعم حوالي المنقع بحيث لا تبين منه لا حبة القمح المربوطة بالخيط ، والتي اذا ما نقدها العصفور تحركت بخيطها فانطبق الفخ على عنق العصفور . والفخ كنا نصنعه من ضلع عجل ناعم او ضلع الغنم او الماعز في وظل يتطور الى ان صار يصنع من اسلاك الحديد ويستورد من دمشق ، ولكن ذلك حصل في آخر مرحلة من مراحل فتوتنا بحيث عرفته الاجيال اللاحقة اكثر مما عرفناه نحن ـ وانواع العصافير التي كنا نصطادها : هي : المطوقة او المطواقة كما كنا نسميها ، والزرعية وهما معروفان من فصيلة واحدة تعيش على ما تلتقطه من الحبوب المبذورة . ولهذا سمي النوع الثاني الزرعي (نسبة الى الزرع) وهو يشبه المطواق تماما لكنه اصغر حجما وصوته يختلف عن صوته من حيث القوة والحجم والنغم ـ والى جانب هذين النوعين الرئيسيين كانت هنالك انواع : القبرة ويسمونها عندنا (الجعطون او الجعيطي) ـ والغريب انني لم اجد اصلا لهذا بالمعاجم بل وجدت الفاظا من جذر (جعظ) واكثرها يدل على الاستكبار وقصر الرجلين مع الضخامة وشدة الاقبال على الاكل ـ ولعل هذا هو اصل اللفظة بعد ان استبدل بالظاء المعجمة طاء . وكان « ابو سن » وهو عصفور شرس شديد الحركة نخشى عضته عندما نخلصه من الفخ وقبل ان نذبحه ـ ولعل استعداده للعض هو الذي جعله يسمى (ابو سن) .والعصفور الدوري والمربعي او مشغل الرعيان وهو المعروف ب (الفري) ، والزرزور ، والحمام البري .

والى جانب الصيد بالفخاخ كان هناك الصيد بالنبلة واسمها عندنا النقيفة ـ نصنعها بانفسنا ، ونصطاد بها ، اكثر ما نصطاد . عصافير البساتين : السمن ، الصفر ، ابو تين ، الحسون او عصفور الشوك الجميل ، والورور ، والقرقشاء وابو الحن ، والحمرة ، والهدهد ويسمونه عندنا الشبلبل ، والترغل ـ او طيور الماء : مثل القطا ، او صوص الماء ، او ابو غليون ، ويسمونه هكذا لطول منقاره طولا مفرطا ، والبط البري (الخذري) .

واذكر ان اول خدعة كنت ضحيتها حدثت لي بسبب هذا الطائر ـ ابو غليون ـ فقد كان واحد منها يرتاد بركة « منيفة » وهي مستديرة وعميقة فكان يقف عند حافة الماء يلتقط طعامه من صغار الضفدع (البرعط) او الفراش او الذباب او غير ذلك ، ولطالما رأيته في وقفته تلك وانا اسير على الطريق المحاذية للبركة . وكان بين مستوى الماء ومستوى الطريق ارتفاع اربعة او خمسة اذرع ، كنت اراه في اسفل فآخذ حجرا ارميه به فلا اصيبه ـ وعدت الى النقيفة في احدى المرات فرميته بحصاة منها فكسرت احد جانحيه ـ فظل واقفا لا يستطيع الطيران ، ولا انا اجرؤ على النزول اليه لالتقاطه خوفا من منقاره الطويل جدا ! . . ـ ولم اكن في سن تساعدني على المحاكمة لاعرف ان الامور ليست بالمظاهر وان طول المنقار ليس دليلا على القوة او العنف ، بل هو اداة لالتقاط الطعام من الاعماق وفيما انا كذلك اذ مر بي شاب من معارفنا ، فرجوت منه ان ينزل ويلتقط لي طائري الذي اصطدته ـ فأبدى كل

استعداد ونزل فاخذ الطائر وصعد ، ولكنه بدلا من ان يعطيني اياه هرب به راكضا بسرعة كبيرة – وانا شبه مشدوه – لانني ما كنت اعتقد ان شابا بهذه السن وهذه القامة العالية يلجأ الى مثل هذه الخسة فيغتصب عصفورا من صبي ائتمنه واستنجد به .

ولكن رب ضارة نافعة – فمنذ ذلك الحين غيرت موقفي من كبار المناقير ، طيرا كانوا او بشرا – ولم اعد اسمح بان يخدعني احد بمظهره .

كانت احدى المتع التي اتمتع بها آنذاك أن امتطي فرسنا الشهباء « امعرقوب » واوردها بركة الغنم فتشرب وانا على متنها ، حتى اذا ارتوت ضربت الماء باحدى يديها او رجليها ، وحمحمت ، فادير راسها واتجه بها نحو البيت ركضا خفيفا – ومن الحوادث التي لا انساها حادثة تخلينا عن هذه الفرس الغالية . فقد زار والدي شيخ من شيوخ البادية اسمه « فلاح ابو مدحل » وراح يرجو منه ان يبيعه نصف حصته من الفرس اي الثلث وقد اشترى الثلث الذي يملكه شريك اخر ليكون المربط لديه باعتباره يملك الاكثرية . ويعرف القراء حتما ان الخيل الاصائل كانت تباع مجزاة : فهي كلها تعتبر مؤلفة من ٢٤ قيراطا وقد تكون ملكا لعدد من الشركاء يملك كل منهم عددا معينا من القراريط ، ويكون المربط لدى احد الشركاء حسب العقد . حتى اذا انجبت الفرس عددا من الامهار او المهرات قام الشريك الذي لديه المربط بقود احدها او احداها الى الشريك الآخر او الى كل شريك حسب حصة كل منهم .

باع والدي الثلث بمائة ليرة عثمانية ذهبا ولرتين ، وامتطى الشاري الفرس وذهب ، وقلبي وعيناي ترافقه . وقد انجبت لديه مهرتين وكنا ننتظر ان يقود لنا احداهما باعتبار ان لنا فرسا من كل ثلاث افراس . كنا ننتظر ذلك عندما حدث ما سيجيء ذكره في حينه ..

مر بنا ان اهلنا يكرمون عيد الاضحى تكريما استثنائيا فهو عيدهم وكفى – يقضون الليالي العشر الاولى من شهر ذي الحجة في سهرات دينية متصلة ، وصباح اليوم الاول من العيد تبدا المعايدات التي تستمر ثلاثة ايام كاملة وحتى اربعة – ومنذ الصباح يقوم الاولاد فيقبلون ايدي والديهم ، ويلبسون البسة جديدة ، ويبداون اللعب والغناء ويشاركون اهلهم في استقبال المعيدين الذين يتوافدون افواجا افواجا ، عائلة عائلة ، وقبل الثورة ، ايام العز كان يخرج والدي الى البوابة ويطلق خمس عيارات نارية من بندقيته كلما اقبلت سربة مهمة من المعيدين ، وحينما يصلون يقدم اليهم الشراب البارد او الساخن ، حسب الفصل ، والسكاكر ، والطعام ، حينما يكونون من الاقارب ، او يصادف وصولهم ظهرا ، ولكنهم كانوا يكتفون بلقمة او لقمتين ، على سبيل البركة ، او الممالحة ، ثم يكملون طوافهم ونقوم بدورنا بزيارة اقاربنا ومعايدتهم ، وكان والدي يصطحبني اكثر الاحيان فقد ارادني رجلا قبل الاوان ، وكان له ما اراد ..

ومن المواسم التي لايجوز نسيانها لانها اخذت تختفي من مجال الحياة القروية ، اعداد المؤونة السنوية ، فمن المعروف ان القرويين يعملون طوال السنة ولا يحصلون على مقابل لعملهم الا في الصيف . نتيجة عملهم كلها تحصل صيفا . وهم مقبلون على فصل الامطار لذي يبدا اواخر الخريف ويمتد حتى اواخر الربيع تقريبا ، نحو نصف السنة يكون المطر والثلج مسيطرين – وقد مرت بنا اعوام كان الثلج فيها يتساقط باستمرار اياما متتالية حتى يبلغ ارتفاعه امتارا . وكثيرا ما كنا نصعد من ارض الدار الى السطوح فوق الثلج من دون استعمال الدرج او السلم . والثلج يجب جرفه تخفيفا عن السقف ومنعا للدلف (الوكف) – وبعد جرف الثلج ترش السطوح بالعور (وهو التبن الناعم جدا الذي ينزل تحت الغربال حين غربلة التبن قبل تقديمه للحيوانات) و (تدحل) بالمدحلة ، اي تدحى بالمدحاة . وهي حجر اسطواني الشكل جعل في وسط قاعدتيه تجويفان يوضع فيهما طرفا (الماعوس) وهو كناية عن زاوية من خشب او حديد جعل في قمته مقبض وطرفاه ينزلان في التجويفين المشار اليهما فيؤلف الماعوس مع المدحلة مثلثا قاعدته المدحلة تدور في يسر حوالى المحورين اللذين في طرفيها – فيجرها الرجل جيئة وذهابا فوق السطح الترابي حتى يظل مرصوصا متماسكا لا تتخلله المياه – وكثيرا ما كانت العواصف تحول دون الصعود الى السطوح لدحلها وعندها كان الدلف (الوكف) ياخذ مداه ويضايقنا مضايقة شديدة – الا ان بيتنا نحن كان متقنا ونادرا ما يكف . وكثيرا ما كنا نستيقظ صباحا فاذا الثلج قد كون طبقة كثيفة جدا تحول دون خروجنا من البيت – فنعمد الى الراحات (١) ونجرف الثلج لنفتح لنا طريقا فيه – والحيوانات لايمكنها المسير فوق هذا الثلج وبياضه الناصع يبهر عيونها . ولذلك كان يقدم اليها العلف والماء وهي في مرابطها – وكثيرا ما كانت تغطي سطح البركة طبقة كثيفة من الثلج والجليد بحيث لا نستطيع اخذ الماء منها فنلجأ الى اذابة الثلج للشرب والغسيل – واذكر مرة ان هذا الحصار الثلجي دام خمسة واربعين يوما لم تستطع ماشية خلالها ان تخرج من اسطبلاتها . واحيانا كثيرة كان شريكنا (المرابع) يصابحنا وهو يشق طريقه امامه بالراحة او بالرحت حتى يصل الى باب الدار ، ويدخل من البوابة ويفتح لنا الطريق عبر ارض الدار حتى باب الغرف التي نكون محاصرين داخلها . وللثلج مباهجه: اللعب بكرات الثلج والتراشق بها ، او اكل الثلج ممزوجا بالدبس (بقسمه) او الصيد فوقه – واذكر انني كنت اصلي الفخاخ واغطيها بتراب اكون قد خباته قبل ان تختفي الارض تحت بساطها الابيض النقي الجميل ، او بزبل الحيوانات ان لم يكن لدي تراب ، وما ان تظهر هذه

البقعة السوداء فوق الثلج حتى تأتيها العصافير فتلتقطها الفخاخ – ومرات كنت اقضي نحو ست ساعات على هذا النحو ، اذ تغلق المدارس وتنقطع المواصلات بين البيوت اياما واسابيع ، ولا شيء يلهينا غير هذه الشقاوة وامثالها .

كان فصل الامطار بالنسبة الي عيدا دائما – فانا احب المطر ، وارتاح اليه ، واشعر بلذة لا تساويها لذة حين اراه ينهمر ، ولا سيما حينما ترافقه الرعود والعواصف ، ثم ينقشع الجو فجاة ويظهر في الافق قوس قزح بالوانه الكاملة الواضحة البديعة ، كنت ارقص واغني – حتى ان اهلي كانوا يزجرونني وينهرونني ويتضايقون مني ، ولكني كنت اعود الى ذلك حين انسى ما حدث .

ازاء ذلك كان لا بد ان نتمون بحيث يكون داخل البيت كل ما تحتاج اليه العائلة . والا فمن اين تتدارك حاجتها ؟ حين يحصد القمح ويرجد الى البيادر ، ويدرس ويعرم ويذري ويصبب ويكال (٢) يعد منه الصويل وهو القمح المغسول بالماء ، ثم المجفف تحت الشمس والمخزون بالكواير . ويطحن منه عادة كمية كافية لاعداد الخبز – وهناك البرغل وهو القمح المسلوق في الخلقين وهي حلة كبيرة مركب عدد كبير منها على جانب البرك او المطوخ (جمع مطخ بلغة الجبل) تتسع الواحدة منها لنحو نصف طن من الحنطة ، ويوقد تحتها القصل حتى تنضج الحنطة وتنقل الى السطوح حيث تجفف – وتخزن بالكواير – وفي اوائل الشتاء تقام في القرية حفلات تعاونية لسحق هذا البرغل وتدعى العملية (سميد البرغل) – ولعلها من (السميد) .

يجتمع عدد كبير من النساء في البيت وتحمل الى هذا البيت عدة ارحية – جمع رحى – ويدعونها عندنا (جواريش – جمع جاروش) – ويبدا سميد البرغل : بعض النسوة يرششنه بالماء – ينمشنه – والبعض يدرن الارحية ، بالتناوب ، والمسمود منه يمر على سلسلة من الغرابيل والمناخل لفرزه وتصنيفه – فيخرج منه المفلفل وهو للطبخ العادي : المجدرة ، او المناسف ، او سواها ، ثم برغل الكبة وهو انعم ويستعمل للكبة بجميع اصنافها ، وبعده السويق وهو انعم من برغل الكبة ويستعمل لحاجات كثيرة غير الاكل . وورشة متكاملة تدوم ليلة كاملة نسرح نحن الاولاد فيها ونمرح ، نساعد في العمل ما امكن ، ونتبادل النكات والحزازير ، وضروب المزاح المختلفة مع هذا الحشد من النساء . وتنتهي الحفلة بأكلة مترفة من العميشة : وهي مزيج من برغل الكبة المخلوط بالكشك والماء والسمن ، يؤكل مع البصل النيء ، وهي اكلة لذيذة من الاكلات الموفقة التي تلجأ اليها ربة البيت عند نفاذ الخبز من البيت ، ليلة تشتغل باعداد العجين وتخميره لتقوم بخبزه على الصاج في صباح اليوم التالي (٣) .

وخلال الصيف تعلف المعاليف – وهي نعاج (حايلة) غير مولدة ذلك العام ، او كباش او خراف – يجز صوفها وتترك لتأكل ما تشاء من سنابل الشعير على البيدر ، ثم تلقم (تزقم حسب تعبيرنا) مزيجا من الحبوب والتبن والماء يعجن وتضعه المراة في وعاء امامها وتمسك براس المعلوفة فوق الوعاء وتصنع من المزيج كرات ، بقدر ما يتسع حلق الشاة ، تدفعها بيدها في فم الشاة ، وهذه تأكل راضية او كارهة ، ولكنها ما ان يجيء الصليب على الحساب الشرقي اي ٢٧ ايلول من كل عام ، حتى تكون المعلوفة قد اصبحت تموج لحما وشحما واليتها قد تضخمت ، حتى ان بعض المعاليف تعجز عن القيام وتغسل بالماء يوميا من اجل نظافتها وتخفيف الحر عنها – ويبدا ذبح المعاليف بعد عيد الصليب لان الطقس يكون قد مال الى البرودة وصار اللحم المقدد في منجاة من الفساد . تذبح المعاليف – وهذا موسم – فيصنع منها الدهن ، اي ان لحمها يقطع ويسلق بالملح الكثير ضمن شحمها ويغلى مدة طويلة حتى ينضج تماما ثم يترك ليبترد فيتكون فوقه وخلاله غطاء من الشحم يحميه من الفساد . وبعد ان يبترد يوضع داخل جرار خاصة مطلية من داخل طلاء يحول دون اي رشح او دخول هواء . ويؤخذ من هذا (الدهن او القاورمة) طوال السنة لاعداد الطبخات المختلفة .

ولكن المعاليف فيها غير هذا اللحم الذي يقدد : فيها اكلات كثيرة حاضرة : فيها الكبد والرئة والقلب والكليتان وهذه تصنع منها اول اكلة وهي المحمضة ، بمرق البندورة وتقدم مع الكبة النية – هذه اول اكلة يدعى اليها الاقارب والجيران والاصدقاء – لان البيت اذا كان قد ذبح معلوفتين او ثلاثا او اكثر يكون لديه كمية كبيرة لا بد من استهلاكها – وعدد الجزارين في القرية محدود ، والجزار يقوم بعملية الذبح والسلخ والتقطيع والفرم ، ولهذا تتم العمليات بالدور في القرية ، ويدوم موسم العزائم (الولائم) مدة طويلة – وبعد المحمضة تأتي الغمة وهي الاحشاء المحشوة بالبرغل او الارز المخلوط بالحمص المتبل بالبهارات المختلفة ترافقه المقادم او الكوارع ، والغمة يدعى اليها عدد اكبر لانها وليمة كبرى . ثم تأتي الهريسة وهي جميع ما في الشاة من عظام تكسر وتطبخ بالقمح المقشر والبهارات ويدعى اليها عدد كبير ايضا – والهريسة اطيب اكلات هذا الموسم في نظري وتأتي في خاتمة الاكلات لان العظام توضع في سلال وتعلق في الهواء البارد ولا خوف عليها من فساد حتى تكون الاكلات الاولى قد نفدت . وهناك اكلة تأتي بعد مدة وتقتصر على افراد العائلة وهي الامعاء : فهذه تفرغ وتنظف جيدا وتنفخ وتحفظ في مكان بارد حتى تفرغ ربات البيوت من جميع الاعمال وتحشى وتطبخ على مهل . وهي اكلة لذيذة ايضا .

المشكلة الكبرى : الماء

كانت في حياتنا مباهج كثيرة – كل شيء موفور – الحياة تتدفق من العروق والعيون – حيوية لا حدود لها – قوة

وشعور بالقوة . اخلاق عالية – حياة عائلية ممتازة – ولكن كان هنالك امر يغلف كل هذا بغلاف اسود كئيب : كانت هنالك مشكلة عاناها جيلنا اجيالا – وهي قلة الماء . اجل ، على الرغم من هذه الثلوج الكثيفة التي وصفت ، وهذه الامطار الغزيرة التي ذكرت ، كان الجبل يعاني جفافا قاتلا وظمأ مهلكا – هذه الامطار والثلوج كانت حينما تجيء تملأ برك القرية ومطوخها ثم ما يفيض عن ذلك يذهب في اودية تشكل في الشتاء انهرا حقيقية ، تذهب باتجاه السهل الحوراني او الصحراء وتظل تركض حتى اغوار فلسطين او مستنقعات الصحراء وسبخاتها – وحين تشح الامطار والثلوج في سنة تالية او سنوات تاليات يكون الماء المخزون قد نضب ، ولا نهر لدينا ولا ينابيع في قريتنا وفي اكثر القرى فعند ذاك يجب ان نجلب الماء من مكان يبعد عنا حوالي ١٠ – ١٢ كيلومترا اما من ينابيع حبكة شرقا ، او من ينابيع الفجفجيات في الجبل الذي تملكه قريتنا شمالا .

ونعيش حياة تقتير بالماء لا مثيل لها . يذهب الواحد منا – وكثيرا ما قمت بهذه المهمة – ومعه دابة او دابتان على كل منهما (شد) مؤلف من سحارتين في كل منهما تنكتان – فيكون حمل الدابة اربع تنكات – اي ثمانين ليترا الى مائة ليتر من الماء كل حمل والمجموع نحو مائة او مائتي ليتر تصل الى البيت ولا يمكن القيام باكثر من رحلة يوميا لبعد المسافة : هذه الكمية يجب ان تكفي لشربنا وشرب حيواناتنا وللطبخ والغسيل وحينما يتأخر فصل الامطار يكون علينا ان نقوم برحلة الورد هذه سرى (سروة) اي قبل الشروق او مساء بحيث نعود بعد الغروب كنا نذهب فتيانا وفتيات ، ومن يعرف مناخ الجبل يعرف كم كنا نقاسي من البرد – كنت اشعر وكان اناملي تتساقط من كفي ، كنا نرتجف ، ونفضل السير على الاقدام وراء الدواب ذهابا وايابا لكيلا نتجمد من البرد – وكان المزاح او الغزل البريء المفتعل يساعدان على تصعيد الدم الى رؤوسنا ولكن البرد كان ينخر عظامنا – وكنا احيانا نصادف مجموعات كبيرة من البدو والحضر ترد الينابيع ، وكانت متعددة فننتظر دورنا ، واحيانا نتزاحم ونختلف ونتشاجر – وكانت بئر (ابو الحصين) تحل المشكلة – فهذه البئر الغزيرة كانت تفجر ما يعادل اثنتي عشرة تنكة في اللحظة الواحدة اي انه كان بامكان اثني عشر من الواردين ملء دلائهم دفعة واحدة وباستمرار طوال الليل والنهار – اسجل هذه الامور لكيلا ينسى الناعمون اليوم بالماء المتدفق في البيوت ما عانته الاجيال السابقة .

كانت حوالي القرية ينابيع صغيرة يستطيع الوارد المحتاج الى الماء ان يملأ حاجته منها ، بعد صبر طويل ، وبالدور ولكن هذه الينابيع كانت كثيرا ما تجف نهائيا لانها كانت مرتبطة بمواسم الامطار – وكانت هنالك مجموعة عيون على مسافة ثلاثة او اربعة كيلومترات غربي القرية اسمها « عيون » ، وهذه ايضا لحقها الجفاف . وعندما كانت البرك تجف كان الاهالي يحفرون في ارضها حفرا عميقة يسمونها المحاسي – واحدتها محساة – اي مكان الاحتساء – وهذه المحاسي تجمع في قعرها قليلا من الماء في يوم وليلة ياخذه حافر المحساة فيقضي به حاجته . وكان هذا يدل على ان البرك او المطوخ كان يمكن ان تعمق اكثر وتتسع لمياه اكثر – ولكن من يجمع الاهالي ويحملهم على القيام بالحفر ؟ كان رجال الدين يقومون بحملة لحض الناس على تعميق المناهل المعدة للشرب ، على الاقل وكانوا يبداون العمل بانفسهم ليكونوا قدوة للاخرين – وكانت هذه العمليات تنجح فتكثر المياه المختزنة سنة او سنوات ثم تعود الاتربة فتترسب في المناهل وتعود المشكلة من اولها .

كانت هنالك ايضا عملية اعداد الطحين – عرفت منذ صغري مطحنة آلية في قريتنا ، المانية – ولكن الناس كانوا خلال فصل الامطار والربيع يفضلون الطحن في مطاحن الماء . فهذه المطاحن ، القامة على مساقط الاودية الشتوية كانت تدور عدة اشهر في بعض السنين – يفضلها الناس لان طحينها يكون انعم وابرد ويعطي خبزا ملوحا (مرقوقا) اوسع واجمل – فضلا عن كون اجرة الطحن فيها كانت اقل . فكنا نذهب الى المطاحن المائية قوافل – وهناك كنا نترك الجمال وسائر الدواب ترعى حوالي الطاحون ريثما تتم عملية الطحن التي كانت تستمر احيانا نهارا طوله ، حسب الدور .

واذكر مرة اننا كنا قد ذهبنا ، صباح احد الايام قافلة كبيرة الى مطحنة شمالي القرية تبعد ثلاثة كيلومترات تقريبا . وكانت الشمس ساطعة ولكن الجو كان باردا – وهناك اطلقنا حيواناتنا ترعى حوالي الطاحون – ورحنا ننتظر دورنا وخلال فترة الانتظار كنا نحن الاولاد قد بدانا نقلع الحلوز – وهو نبات ذو بصلة حلوة او مرة او بين بين – وهو عدة انواع فمنه ما تقشر بصلته ويؤكل نيئا ، والمر منه يسلق قبل الاكل فتحلو بصله وتصبح لذيذة جدا – ومنه الحلوز السكري وهو عميق وله زهرة جميلة – وساكتشف فيما يلي من الحياة ان هذا الحلوز السكري الذي يملأ برارينا ايام الربيع انما هو التوليب بالتمام والكمال . .

وفيما نحن كذلك اذ اكفهر الجو فجاة ، وزحف الغيم الرمادي الغاضب ، من كل جهة ، وبدأ الثلج يتساقط في غزارة ، هكذا على الناشف ، اي فوق الارض الجافة . لجانا الى الطاحون ورحنا ننتظر – ولكن الثلج سرعان ما غطى الارض كلها وراح يتكاثف واسرعنا فحملنا الطحين وسارت القافلة بطيئة باتجاه القرية – واخذت اخفاف الجمال تنزلق فوق الثلج فيكاد الجمل ان يقع بحمله –

حنين

☆

اجل ذاكر اني واني لاشوق ... فقد طال بعد منه قلبي مرهق
تعاودني ذكرى الليالي التي خلت ... ويعتادني عهد بقربك شيق
وكنا كما يهوى الغرام ويشتهي ... كطيرين في دنيا الخيال نحلق
ونشدو كما يشدو الهزار قصائدا ... لما قد حوت من رقة تترقرق
منى النفس يادنيا من السحر حلوة ... ويا روضة منها شذا الورد يعبق
تضوع منها كل ما يبعث الهوى ... ويحلو بها للعين فل وزنبق
ويا واحة يهفو لها قلب وامق ... يحن اليها في العراق ويارق
وعينيك لا عيشي هنيء كعهدنا ... ولا الافق مجلو بعيني مشرق
احن لايام تقضت لانها ... هي العمر ايامي به تتالق
سلام على دنيا برغمي تكلتها ... سلام مشوق جازع يتمزق
سلام محب ذاكر كل ما مضى ... يحن لماضيه ويهفو ويعشق

بغداد ص.ب ٤٦٧ — باقر سماكة

وبعض الجمال وقعت فعلا ، وكان الرجال والنساء يركضون فيساعدونه على النهوض واستئناف المسير — والثلج يتساقط واتصلت السماء بالارض .

ونحن نسير والثلج يغطي الواحد منا من قمة راسه الى اخمص قدمه — وتضايقنا جدا — وكادت انفاسنا ان تزهق — ولكن الفزعة وصلت — وصل اهلنا من القرية على خيولهم وانجدونا . وتعاونا حتى ادركنا القرية . والثلج صار ارتفاعه الى الركب . هذه الحوادث القاسية هي التي تربي اهالي الجبل وتجعل منهم الاشداء الصابرين المستهينين بالمصاعب . . وبالمصائب .

هذه كانت حياتنا في خطوطها العريضة : بحبوحة وكفاح ، رخاء وشدة ، يسر يغلب على العسر حينما واجهنا الحدث الاكبر ، الحدث العظيم المهول في حياتنا : الثورة .

---

(١) كان هنالك الرفش : ويدعى الراحة وهي من الحديد وعصاه خشبية . وهناك الرحت : وهو مصنوع من الخشب على شكل الرفش وهو اسهل لجرف الثلج اذا لم يكن متجمدا اما اذا تجمد فلا بد من استعمال الراحة الحديدية .

(٢) عرمه : جعله عرمة اي كومة القمح او الشعير بتبنه . صببه : جعله صبة اي كومة الحب الصافي .

(٣) هذا كله زال بعد توافر المطاحن الحديثة .

السويداء — سورية — سعيد أبو الحسن

فيليب لطف الله شاعراً

بقلم راضي حكيم

* * *

لشد ما تألمت وانا اقرأ خبر رحيل الشاعر الصديق الوفي فيليب لطف الله ، على صفحات الاديب ، كان الراحل الكريم قد بعث الي بديوان شعر اصدره مؤخرا وجعل عنوانه (اناشيد الغروب ، ١٩٨٠) .. فهل تراه كان يعلم ان ساعة الرحيل قد ازفت ، وان شمس حياته الى مغيب .. وان بينه وبين الموت قاب قوسين او ادنى ..

يقول الشاعر في مقدمة ديوانه هذا : «هذه اناشيدي الاخيرة ، وقد بلغت العام الثاني بعد الثمانين ولم ازل ارسل الشعر كما كنت انظمه في شبابي بل اجود . غير ان الحقيقة التي لا مهرب منها هي غروب شمس الحياة وان طال بنا العمر ، وهو هبة سماوية تعطى وتحرم على البشر . وكم من رفيق سبقني الى حضن امه الارض المشوقة الى ابنائها » .. الى ان يقول « ولا فرق بين من عاش ربيعا واحدا او عاش الدهور ، اي مهما طال العمر له اجل ، ومن عاش الدنيا عاما كمن عاش مئة عام».

كان الشاعر ذات مرة ينظر الى وجهه في مرآة .. يتذكر ايام الصبا .. فاذا به يرى تجاعيد وجهه بادية فيتأثر ويتحسر :

نظرت وجهي على المرآة اسائله	عن الصبا فبكى من وجهه الجعد
مات الجدود مع الاباء واسفي	فسنة الدهر لا تبقي على احد

بل نراه في ديوانه الاخير (اناشيد الغروب ، ١٩٨٠) يفكر في الموت ويقول متفكرا ومتأملا عن الموت كلمات تنم عن فهم لسر الحياة والموت ..

يقول : « الموت هو الحاكم العادل ، ولولاه لكرهنا الحياة ، الموت هو الواعظ المرشد الى حقيقة مرهبة لا بد منها . وهو الخطيب الصامت ، وفي صمته حكمة لعلاتنا الكثيرة . امثولة الموت تعلمنا المساواة . في اصبع الموت قوة لا ترد . اذا تحركت فما علينا الا ان نطيع .

وراء الاسرار الرهيبة يختبيء الموت . الموت بعبع الاغنياء ، وعزاء الفقراء ، وهمزة الوصل بين الدنيا والاخرة هو نهاية كل بدء ، وانحلال هيكل لبناء اخر . هو تاج فخر على راس الشجاع ، ومذلة على رأس الجبان . هو السبيل الامين الرجوع الى حيث اتينا . لا موت في الدنيا بل انتقال من حال الى حال . من يرهبه الموت فهو حي ميت . الموت راحة المتعبين » .

تلك هي فلسفة الشاعر في الموت : الموت في نظره انتقال من حال الى حال، ومن عالم الشقاء الى عالم الهناءة تلك نظرة مؤمن بالله ، الموت عنده انتقال الى حياة افضل .. فاذا كان الامر كذلك ، وهو بالفعل .. فلماذا اذن نهاب الموت ونخشاه ؟! فنحيا على الارض امواتا وكاننا احياء .

اولئك الذين يهابون الموت يعيشون طوال حياتهم في عبودية ، اما اولئك الذين تحرروا من عبودية الموت فينطلقون في الحياة احرارا ، حتى اذا ما باغتهم الموت ، حررهم من عبودية الجسد والخطيئة ..

في مقدمة ديوانه (نسمات الجبل ، ١٩٦٤) يعرفنا الشاعر بنفسه يقول : « انا فيليب لطف الله التبشراني جئت الى هذا العالم من ابوين هما لطف الله الحاج مخول التبشراني وتمام خليل ابي حيدر من طليا قضاء بعلبك ، ولدت عام ١٨٩٧ في بلدة بسكنتا اللبنانية الواقعة في سفح صنين وعلى كتف وادي الجماجم المشهور والمقترن اسمه بالرهبة والخشوع » .

« تلقنت دروسي الاولى والاخيرة في المدرسة الوطنية بسكنتا . وفي عام ١٩١٤ اغلقت المدارس ابوابها بعد وقوع الحرب الكبرى .. وفي عام ١٩٢٠ غادرت لبنان الحبيب الى سان باولو بالبرازيل وكان قد سبقني اليها اخي سليم رحمه الله فعملنا معا في محل تجاري ثم انشأنا معملا لعلب الكرتون .

وفي عام ١٩٣٠ اسسنا مصنعا لنسج الحرير اسميناه لويس الخامس عشر ولم تمر عليه السنوات الاولى حتى اصبح في طليعة المعامل الكبرى ، بيد ان صناعة الحرير لم تستمر على الحال التي كانت عليها ، بسبب اشتغال الكثيرين بها ، فلم تعد كما كانت تدر الربح الوفير ، فكان لا بد لفيليب لطف الله ان يتجه في طريق آخر .

وفي عام ١٩٣٠ تزوج من افلين نعمه حداد وكلل الله اعماله بالنجاح وزواجه بالبنين الصالحين ، كما يقول :

ويكمل « في ١٩٣٢ خطوت الخطوة الاولى في سبيل الادب .. ففي عـام ١٩٣٥ صدرت مجلة (العصبة الاندلسية) التي رأس تحريرها الاديب الكبير حبيب مسعود .

وفي هذا المحيط ـ كما يقول الشاعر ـ تدفقت في نفسه براعم الادب فابتدأ ينظم الشعر مدفوعا بعامل داخلي .

ورغم انشغال الشاعر بالعمل والتجارة ، الا انه

ابدا لم ينس الشعر ، بل كان شيطانه يراود الشاعر من حين الى اخر ، ويجيء اليه كلما كانت الساعة مواتية ، مع كونه يؤمن ان شيطان الشعر لا يجيء من خارج الشاعر ، من وادي عبقر ، لكنه في داخل قلب الشاعر ، يستحثه ويستنهضه .

ما هو الشعر ؟ هل يكون الشعر الهاما .: وهل للشعر شيطانه ..

يقول شاعرنا ان الشعر موهبة تكتمل بالدرس والمران والمتابعة الدائمة على النظر . فاذا كان الشاعر ذا استعداد وموهبة ، يندفع بشعره الى الامام فيحلق في سماء القوافي وهذا ما يسميه موهبة ، وهي لا تعطى الا لافراد قلائل من البشر ، لئن كان لكل شاعر شيطانه فشيطانه منه وفيه بل هي الساعات التي تتمخض بها النفس لتلد قصيدة ، هذا ما يدعونه شيطان الشعر .

شاعرنا ينظم الشعر مدفوعا برغبة داخلية ولذة نفسية، يقول : ونظم الشعر عندي اطيب من شراب .. واجمل من رسم الرسامين » . نظم الشعر ليس مجرد تعبير عن النفس ، وانما به تستلذ النفس .. فترضى وتطيب ..

الشاعر يقول الشعر ليغني ، ولا يدفعه من وراء الشعر والغناء .. الا رغبة في التغني .. وهل ينتظر الطائر المغرد شيئا من وراء تغريده. . الا ان يحيا ويستمتع بالحياة .. انه يؤكد وجوده عندما يغني .. فالحياة عند الطائر وعند الشاعر .. غناء .

ويزيدنا الشاعر ايضا بقوله : « ليس الشعر تراكيب لغوية ، والفاظا فخمة بل رسوما رائعة وجمالا وعاطفة ومحبة تفرح العيون والقلوب والارواح في جميع حالاتها ، فترى غزل العيون وفعلها ، وشوق القلوب وعطفها ، وهيام الارواح وجنوحها فتتمتع بأجمل الرسوم الشعرية كباقة ورد في روضة الادب » .

يقول الدكتور صفاء خلوصي « ان فيليب لطف الله اديب مترسل، ولكن شاعريته غالبة عليه فهو شاعر حتى في نثره ولا يكاد يمضي في رسالة او رد على رسالة بضعة اسطر حتى يعرج به شيطانه على وادي عبقر فاذا بالرسالة شعر اكثر منها نثرا .

فاذا كان الشاعر يقول الشعر ليتغنى .. فماذا تكون اغنيته ؟ لا بد وان يغني للحب ، فقلب الشاعر يمتلىء حبا بالحياة وبالانسان، والقلب الذي يعرف الحب لا يعرف الحقد اليه سبيلا .. وانما يدين بالمحبة في كل ما يقوله وما يفعل .. عندما نحب يجيء كل ما نقوله او نفعله عظيما بقدر هذا الحب ..

يقول اوغسطين « احب وافعل بعد ذلك ما تشاء » .

ويقول الشاعر :

ديني المحبة في قولي وفي عملي   وحرقة الحب من شرعي وايماني

ويقول ايضا :

كن محبا فدرهم الحب يشفي   داء قوم في حقدهم ضعفاء
وانشر الحب فهو نور البرايا   اسبغته على العباد السماء

الشاعر معطاء .. وعطاؤه شعر .. وفي الغالب يكون العطاء سخيا .. عند الشاعر الحق .. العطاء دائما بغير شروط .. وكأن كل همه ان يعطي ويعطي .. دون حساب ..

لقد ادرك الاديب اللبناني راجي عشقوتي هذا ولاحظه على الشاعر فكتب مرة يقول مخاطبا شاعرنا :

« انك تكتب ولا تشكو بل من طبعك ان تعطي دون شرط لكانك الشمس التي تزور الارض وتمسح بكفها الاشياء وتمضي . ولا تسأل ، ولكن العافية التي تحركت في كل عرق هي وحدها ترتفع اناشيد صامتة تشكر للشمس حبها » .

في شعر فيليب لطف الله حكمة متضمنة ، لا تفسد الشعر ولا تجور عليه ، فهو لا يقول الشعر بقصد ابراز حكمته ، بقدر ما يقول الشعر فتبرز الحكمة دون قصد منه ، فتجيء بطريقة طبيعية لا صنعة فيها ولا تكلف ..

يقول في (سر الحياة) :

سر الحياة روايـة   وفصولها لا تعلم
والموت فيها قصة   في امرنا تتحكم
دنيا تسيرها الحروب   بها يصول الدرهم
لا يستقر بها السلام   وفي الانام المجرم

الذين يعيشون الحياة بطولها وعرضها .. تعركهم الحياة ، وهم سائرون على دربها .. والحياة في الغالب تضن بسرها .. الا لمن يحاولون ان يكشفوا عن سرها .. يجيء هذا الكشف من خلال الحب والجهد .. والعرق والدموع .. يتحدث الشاعر في نهاية ايامه حديث الفاهم للحياة ، العارف بأسرارها ..

اسائل نفسي وشيخوختي   وماذا رايت بهذا الوجود
رايت الحياة تغذي الحياة   وكل حياة اليها تعود
ولا فرق ما بين احيائها   عناصر ترب وماء ودود
تساوت معادن انواعها   فنوع الكلاب ونوع الاسود
واشجارها شبه احيائها   وكر الزمان البناء يعيد
وكل قديم الى جدة   وصنع القديم كصنع الجديد

ابيات الشاعر تذكرني بكلمات سليمان ، حكيم الاجيال .. « ليس من جديد تحت الشمس .. كل الانهار تصب في البحر والبحر ليس بملآن .. باطل الاباطيل الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس .. »

فاذا كانت يد البلى تمتد الى كل الكائنات والمخلوقات بغير استثناء .. الانسان كالشجر .. والكلب كالاسد .. عندئذ يستوي كل شيء .. فليس ثمة جديد او قديم .. فالجديد يصبح قديما .. والقديم من شأن الحياة ان تجعله يتجدد .. ولا فرق ..

احساس شديد بالزمان وهو يلعب دوره في فناء المخلوقات والاشياء .. واستشعار بشدة وطأته على كاهل

عتاب

☆

تقول اتنسى من الذكريات ... عناق الحبيب وعذب القبل
وكنت تغني بحبي القصيد ... (تغني الضحى وتغني الطفل)
وتنشدني من رقيق البيان ... فنون النسيب وفن الغزل
وكنت بروحك تفدي وجودي ... وتضفي على غوالى الحلل
وكم سهد الحب منك الجفون ... فلم تنم الليل الا الاقل
فاين غدا كل ذاك الفتون ... وماذا تبدى وماذا حصل
فقلت ايا املي في الحياة ... ومن ليس لي غيرها من امل
اهذا الكلام تقولينه ... اجدا تقولينه ام هزل
ويا فتنة العاشق المستهام ... بورد الخدود وسحر المقل
اينساك مثلي وانت التي ... بكل معانيك ضرب المثل
ولكن نسيت بهذا الزمان ... اذا انعقدت عقدة لن تحل
فلو كنت تدرين ما حل بي ... فلا من اجاب ولا من سال

جعفر الخليلي

نزيل عمان ــ الاردن

الانسان . وتداخل بين الموت والحياة .. كأنهما نسيج واحد فهما معا ينسجان الوجود ..

ابحث عن مائت في الثرى ... رايت البنين يروح الجدود
رأيت الممات بقلب الحياة ... وكل حياة اليه تعود
وتبعث في مظهر آخر ... فكل جديد عليها وليد

ذلك سؤال الشاعر عن الحياة والوجود .. يبقى السؤال حائرا ، والاجابة معلقة .. لان الفهم يعجز في كثير من الاحيان عن فهم سر الحياة وسر الوجود .. ومع ذلك فالانسان لا يكف عن التساؤل حول سر الاشياء .. ومصير الانسان .. ما بقي الانسان حيا ، وما بقي الوجود عامرا بالانسان .

راضي حكيم

كلية العلوم ــ جامعة القاهرة

مكتبة الأديب

احمد فارس الشدياق : آثاره وعصره

تاليف الدكتور عماد الصلح – ٢٧٥ صفحة – دار النهار للنشر بيروت – ١٩٨٠

كان اديب الشام الكبير المرحوم شفيق جبري (١٨٩٨ – ١٩٨٠) قد اطلق على العلامة احمد فارس الشدياق لقب جبار القرن التاسع عشر واتخذ من هذا اللقب عنوان كتاب مخطوط له – حبذا لو طبع وخرج الى عالم النور ، ثم جعل من (الشدياق) موضوع مقاله الافتتاحي في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في الجزء الثاني من المجلد الثالث والخمسين .

نذكر هذا بمناسبة صدور كتاب احمد فارس الشدياق : آثاره وعصره للدكتور عماد الصلح ونوشك ان تطلق عليه الكلمة المأثورة : جمع فاوعى . ونقول « نوشك » اذ يستحيل على اي مؤلف في اي مجال ادبي ان ياخذ الشيء كله ، فلا بد من فوات بعض دقائق التاليف ، وهيهات ان يبلغ الانسان حد الكمال ، ولسوف نورد ما فات الدكتور الصلح وما اخطا فيه .

يمتاز هذا الكتاب على سابقيه مثل : اعلام العرب (احمد فارس الشدياق) لمحمد عبد الغني حسن ، واعلام الفكر العربي (احمد فارس الشدياق) لميخائيل صوايا وغيرهما ، يمتاز في ان صاحبه اخذ بالمقاييس العلمية الحديثة في البحث والتنسيق ، وذلك خلال سيرة واعمال احمد فارس ، فبحث في مناحيه اللغوية والادبية والسياسية والاجتماعية بسرد محكم واسلوب رصين . وبذا اصبح هذا الكتاب مستدركا قيما على جميع من كتب او الف حول احمد فارس الشدياق .

محمد عبد الغني حسن ، رغم بيانه المشرق وبحثه الممتع في كتابه المذكور فاتته اشياء واشياء ، وحسبنا ان نذكر نواقصه في الاطلاع على الوثائق والسجلات المنوطة بالشدياق ثم ايضا الاطلاع على مجاميع جريدة الجوائب دون الاكتفاء بمجلدات « كنز الرغائب » كما فعل ، فهذه المجموعة هي منتخبات ورشفات من انهر الجريدة ، وتقف عند منتصف السبعينات اما ما بعدها لبضع سنين من باقي عمر الجريدة فليس من ذكر له ولا بد من تتبع مسارها . وللاستاذ محمد عبد الغني حسن العذر كل العذر ، فهو مصري يقيم في القاهرة بينما الدكتور عماد الصلح لبناني يقيم في بيروت ، وقد اتاح له قربه الاطلاع على المستندات والعثور على معظم مجلدات جريدة الجوائب فاربى على ما كتب غيره .

اما الاديب الاستاذ ميخائيل صوايا فكتابه كترسل وانشاء اكثر منه بحثا واستقراء ، فاهتمامه بصوغ العبارات والاطناب فيما كتبه الشدياق ليطغو كثيرا على دقة البحث وعمق التحقيق .

الكتاب

كتاب الصلح حول الشدياق ذو اربعة فصول كل منها يحتوي اقساما متفاوتة في الحجم ، وقد قدم له الدكتور جبور عبد النور .

تناول الفصل الاول سيرة الشدياق في جميع مراحل حياته . والفصل الثاني جريدة « الجوائب » فكرة تاسيسها والجو المحيط بها آنذاك ، ثم عهد الاستقرار وبروز السمات الصحفية ثم كيفية تحرير الجريدة فمجادلات الجوائب ومناظراتها واقفالها . وفي الفصل الثالث تحدث عن اثار الشدياق ومدى تحقيقه كتب التراث واسلوبه في التحقيق . واخيرا في الفصل الرابع آراؤه الاجتماعية والسياسية ثم اتبع جميع هذا بفهرست مفصل بالمراجع .

وقبل التعليق على هذه الفصول ، لا بد من كلمة شكر ازجيها من الاعماق للدكتور الصلح على ما بذل من جهد في مؤلفه ، واخص بالشكران على ذكره في بعض اقسام الفصول ومراجعها الوالد الشيخ رسول النجاري الاديب المنسي ، الذي زامل احمد فارس وابنه سليم بضعة عشر عاما ، وقد وضع الدكتور الصلح مجلة الاديب عدد فبراير ١٩٧٨ في مختتم مراجعه وبين هذا في مكان اخر من المراجع فاستند الى مقالي الذي تفضل الاخ الجليل الاستاذ البير واستهل به العدد المذكور وعنوانه (احمد فارس الشدياق وقصيدتان مخطوطتان لـه) .

سيرة الشدياق شيقة زادها الصلح سناء بابرازه ما خفي من وقائع واثبت للمرة الاولى ان ولادته كانت سنة ١٨٠١ وهذا هو الصحيح في راينا ، بينما قرر الاخ الاستاذ عبد الغني حسن عام ١٨٠٥ ، تاريخا لميلاده واعتمدت اعلام المنجد عام ١٨٠٤ ويكون من تتمة السيرة تحليل نفسي لشخصية الشدياق وهذا ما قصر فيه الصلح .

وفي الفصل الثاني تحدث المؤلف عن جريدة الجوائب وميزته في حديثه كما اشرنا انه تتبع الكثير من مجريات امور الجريدة من اعداد الجوائب ذاتها وليس كما فعل غيره في كتبهم وفصول تتحدث عن كتابة الشدياق واحواله مستقاة من منتخبات الجريدة عبر اجزاء « كنز الرغائب » وقد اكد الدكتور الصلح ريادة الشدياق للمقالة وكان قد قال بهذه الريادة معظم من كتب او الف حول احمد فارس .

في القسم الرابع من الفصل الثاني مجادلات الجوائب ومناظراتها وبين الصلح ان جدليات الجوائب ناشئة في العادة من موقف سياسي كالمجادلة مع صحيفة « برجيس باريس » ثم في اواخر سني الجوائب مع « الاعتدال » لصاحبها احمد قدري المترجم لدى السلطان ومحررها « يحيى الشلاوي بسبب تهجمه على خديوي مصر فتولى منازلته في الجوائب احد الكتاب البارزين فيها الشيخ رسول النجاري » او من بحث لغوي كما حدث للشدياق مع ابراهيم اليازجي وكان هذا اشهر جدليات الشدياق ، او من خطا غير مقصود : مع جريدة ثمرات الفنون لصاحبها الشيخ عبد القادر القباني وكان الوالد الشيخ رسول النجاري ممن اشترك في هذه المهمة حسبما اطلعت عليه في بضعة اعداد ممزقة من الجوائب بقيت لدينا .

وذكر الصلح آخر عدد من الجوائب وما جاء فيه ، ولم يؤكد حقيقة اقفالها هل كان تلقائيا ام بامر من السلطان والثاني هو الثابت والاكيد وكانت تحدثني به المرحومة اختي لابي ، وخلافا لما ذكرت في احد اعداد الاديب فان والدي استمر في الجوائب حتى يوم ايقافها النهائي .

في الفصل الثالث تناول المؤلف الدكتور الصلح اثار الشدياق في مطبوعات الجوائب ، وقد اسهب في تحقيقه الكتب واسلوبه في التحقيق والكتب التي حققها .

الاديب



٥

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريه : ٥٠ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٣٠٠٠ ل.ل. أو ١٠٠٠ دولار كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir. 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير اديب

هنا وبصفتي احد المطلعين على دقائق الامور وبما لدي من عناصر الاثبات ، يحق لي النقد والاعتراض ، فبعد ان عرف الدكتور الصلح التحقيق بانه « فن بلا علم دقيق يتطلب كفاءات متعددة كما يعلم بعض القراء » واستشهد بمقطع للاستاذ عبد السلام هارون في كتابه « تحقيق النصوص ونشرها » !!

اقول انه قد اتسع نطاق التحقيق بعد الشدياق وفي زمننا هذا اصبح محقق الكتاب يشرح ويعلق وياتي بتراجم الرجال ويقارن النسخة المخطوطة بغيرها ثم بما جاء في امهات الكتب ، وينسق الفهرست ويبوب المراجع وياتي بقائمة الاعلام حسب احرف الهجاء . وجل هذا ان لم يكن كله ليس متوفرا لدى الشدياق ومعاوني الشدياق وهذه قولة حق خالية من التحيز والمجاملة . ثم يقول الدكتور الصلح :

« يمكن تقسيم هذه الكتب المطبوعة في الجوائب من حيث العلامات الفارقة الى قسمين :

القسم الاول : الكتب التي حققها معاونو الشدياق وقد ذكروا اسماءهم صراحة في خاتمة كل كتاب كالشيخ يوسف النبهاني في مقامات بديع الزمان وامثال العرب للمفضل الضبي وديوان العباس بن الاحنف ثم الشيخ رسول النجاري في ديوان الطغرائي .

والقسم الثاني : الكتب التي هي غفل من الاسماء واننا نرجح اشبه القطع انها من تحقيق الشدياق » .

ولقد تجاوز شبه القطع الى القطع حين اورد احد الكتب خلال سرده المراجع فقال ما نصه :

« البحتري ـ ديوان البحتري تحقيق الشدياق الاستانة ١٨٨٢»

ولسوف نبين الخطا الفادح في نسبة هذا التحقيق حين الكلام عن ديوان البحتري .

اعتراضنا على تقسيمه يتلخص في امور ثلاثة :

اولا : ليست جميع الكتب التي هي غفل من اسم مصححها او محققها كما يرى الدكتور الصلح ـ هي للشدياق فمعاونوه ومنهم الوالد وهم علماء افاضل لهم النصيب الاوفر في التصحيح او التحقيق.

دليلي على هذا اعتراف الشدياق نفسه في ابيات من قصيدة جوابية بعث بها الى والدي ونشرت في « الاديب » خلال مقالنا بعدد فبراير ١٩٧٨ اذ يقول :

دم يا رسول المعاني تستبين لنا — من معجزات المعاني زينة الكتب
لانت فخر لنا والناس تعلم ذا — وليس ينكره الا عم وغبي
ولا تؤاخذ شيخا بالقصور عن — الاطراء فهو اسير الهم والوصب

ثانيا ـ ورد الاسم الصريح للشدياق في خواتيم بعض الكتب المطبوعة في الجوائب مثالها : « حسن الاسوة فيما ثبت من الله ورسوله في النسوة » للعلامة صديق حسن خان ملك بهوبال في الهند ، وهو الكتاب الذي تاخر طبعه وطالت قصة نشره حسبما شكا المؤلف للوالد في رسالة بعث بها اليه ـ وهي محفوظة لدينا ـ رغم المال المرسل الى الجوائب .

لقد كتب الشدياق في خاتمة « حسن الاسوة » ما نصه « يقول الفقير الى ربه مولي المواهب احمد فارس منشىء الجوائب » الخ .. في تقريظ مسجوع ومدح للامير وتعداد لكتبه . وقد ضم الشدياق الى الكتاب مجموعتين احداهما للشريف المرتضى ـ الشهاب في الشيب والشباب ـ والثانية منسوبة للجاحظ ـ سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والخريف ـ هذه المجموعة الثانية مسجوعة من اولها الى اخرها ، وما كان الجاحظ ساجعا الا فيما ندر وفي عبارات عابرة ، ثم انه وردت في هذه المجموعة ابيات لابن المعتز وللسلامي وغيرهما مع ذكر الكنى الصريحة لهم ، والاول ـ ابن المعتز ـ كان عمره سبعا حين توفي الجاحظ والثاني ـ السلامي ـ شاعر غزلي متهتك عاش في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة ، وقد تبع الشدياق ناسخ

المخطوطة في النسبة واتى بترجمة وافية لعمرو بن بحر الجاحظ .

ثالثا ـ وهنا بيت القصيد بالنسبة لي ، اذ ليست جميع الكتب التي هي غفل من الاسم الصريح للمحقق هي للشدياق ، فديوان البحتري مثلا الذي نسبه الدكتور الصلح في التحقيق الى الشدياق وارتاى انه احد الكتب الرفيعة التى خص الشدياق نفسه بها . هذا الديوان ليس من تحقيق الشدياق البتة انه من تصحيح وتنقيح الشيخ رسول النجاري .

يقول الوالد في كتابه المخطوط : « الجواهر الغالية الاثمان في الرحلة الى دار خلافة آل عثمان » ما نصه : « وهذا تقريظ يزدري بعقد الجيد ، قرظت به ديوان البحتري الشاعر المفلق المجيد ، حينما صححته ، ونمقته للطبع ونقحته ، الا انه ميز يومئذ عن الديوان ، كما درجته جريدة البيان ، وجاءت به في العدد الثامن والثلاثين ، حيث قالت رغم انف القالين :

« بعث الينا حضرة العالم الفاضل والكاتب الكامل ، رب الفصاحة والعرفان ، وسحبان بلاغة العصر والاوان حضرة الشيخ رسول افندي النجاري هذه الرسالة المنسجمة متبوعة بتقريظ نمقه يراعه على ديوان البحتري الذي قد تولى حضرته تنقيحه ومناظرة طبعه قال حفظه الله : ويأتيك بالاخبار من لم تزود ـ العنوان ـ : « ابى الله الا ان تبزغ شمس الوجود في سماء الحقيقة ، وتتيه مخدراتها المصونة في عالم الكون بجمالها الباهر وبرودها الرقيقة ، ويبرز الدر المكنون من بحور الاسرار ، الى غور الصحف وتماط عن عرائس الادب الحجب والاستار الخ ... » ويقول الوالد في تقريظه الشعري :

ولقد بذلنا الجهد في تصحيحه ... لغموضه بتفكر وتدبر
اقلامنا تجري على صحف له ... وقت التصفح كالعتاق الضمر
وتسترت عنا معان لا يرا ... ها غير اهل الكشف مثل التستري
لله در البحتري اذ ازدرت ... حسنى معانيه ببدر الابهر

والعدد المذكور من جريدة البيان القاهرية لصاحبها يوسف شيث ما يزال بحوزتنا ، وكان الشدياق آنئذ وقد اربى على الثمانين اسير الهم والوصب حسب تعبيره ، وذكر الدكتور الصلح وطاة السنين عليه والكلل في عينيه حيث انسحب الشدياق تدريجيا من تحرير الجوائب واحتجب قلمه عن الصحيفة الا فيما ندر وتسلم المؤسسة ابنه سليم فادارها وادار تحريرها بارشاد الشيخ رسول النجاري لكن سطوة الاب ظلت مهيمنة على سياستها ، الا ان سليم لم يكن يجيد الكتابة فيما يبدو » .

وفي واحد من ثلاثة اعداد ممزقة من الجوائب بقيت لدينا ، نقلت الجوائب في ٤ جمادى الاولى ١٣٠٠ هـ مقالا لصاحب جريدة روضة الاسكندرية جاء فيه : « اننا على تمام العلم بان حضرته ـ والحديث عن احمد فارس ـ معتزل تحرير الجوائب من بضع سنين وهو ما تاكدناه في مدة اقامتنا بدار السعادة » .

جميع هذا يجزم بعدم صحة تحقيق الشدياق لديوان البحتري . وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل .

في الفصل الرابع ابرز الدكتور الصلح مواهب الشدياق الفكرية في الاجتماع والاقتصاد ، ولئن كان القول المشهور لكل زمان رجال فلا شك ان الشدياق كان من رجال الفكر في القرن التاسع عشر في آرائه الاجتماعية ،فهو يكتب عن حرية الفرد وعن الدين والمجتمع ويعجب للحكومة البريطانية كيف تغض الطرف عن الحالة السيئة للفلاحين والصناع : « لا فرق بينهم وبين الهمج » وهو يرى ان حاجة الغني الى الفقير اكثر من حاجة الفقير الى الغني . وذكر الصلح ريادة الشدياق في تحرير المراة ومساواتها مع الرجل في زمن كانت تضرب حولها الحجب والاستار .

وقد غدا الشدياق مشهورا بانتصاره للمراة واذا عد انصار

المراة خلال الكتاب القلائل في العالم العربي في القرن التاسع عشر قد شك ان الشدياق ياتي في المقدمة وذلك فيما كتب عن تحرير المراة ومساواتها مع الرجل .

هذا غيض من فيض . وكتاب الدكتور عماد الصلح رغم ما اخذت عليه فيما فاته واخطا فيه وله العذر كل العذر وهيهات ان يبلغ انسان حد الكمال كما اشرنا . نقول ان كتاب الصلح بمجموعه يعد اثـرا قيما ويدرج ضمن المظان الرئيسة لكتاب العالم العربي حين التحدث عن الشدياق جبار القرن التاسع عشر حسبما قال فيه اديب الشام الكبير شفيق جبري .

حمص ـ سورية **علي حيدر النجاري**

* * *

شجرة الحلم

شعر : حسين علي محمد ـ ٧٤ صفحة من القطع الصغير ـ سلسلة «المواهب» (٢) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ مايو ١٩٧٩

يضم هذا الديوان احدى عشرة قصيدة لم ينشر الشاعر غير ست قصائد في الجرائد والمجلات من هذه المجموعة . « شجرة الحلم » و « القاع» نشرتا في (الثقافة الاسبوعية) الدمشقية . « عودة الوجه الذي ... » نشرت بعنوان « المهرج » في (الكاتب) المصرية و (الشورى الليبية) و « التجربة » نشرت في مجلة (الشعر) المصرية و « الاميرة تنتصر » التي نشرت في مجلة (المختار الاسلامي) المصرية . و « السمان والخريف » وقد نشرت في جريدة (الوطن) في سلطنة عمان . اما قصائده : ليلة مع كليوباتره ، سيرة ذاتية للفناء على صهوة البرق ، وقد نشر العنوان « الفناء على صهوة البرق » وهذا يخالف اصول المقدمة التي كتبها د. علي عشري زايد ، وقبيل النهاية ، وثلاثة اصوات ، فهذه القصائد كلها لم تنشر من قبل .

وهذه المجموعة الشعرية ـ في نظري ـ هي افضل مجموعات حسين علي محمد الست التي صدرت حتى الان وهي :

١ ـ حوار الابعاد الثلاثة ـ طبعة اولى كتابات الغد ، القاهرة ١٩٧٧ . وطبعة ثانية في حلب ١٩٧٩ بعنوان « حوار الابعاد » .

٢ ـ السقوط في الليل ـ طبعة اولى ، ١٩٧٧ في القاهرة بمساعدة اتحاد الكتاب العرب بدمشق .

٣ ـ ثلاثة وجوه على حوائط المدينة ، كتابات الغد ، ١٩٧٩ ـ القاهرة .

٤ ـ شجرة الحلم (الذي نعرض له الان) .

٥ ـ اوراق من عام الرمادة ـ عن سلسلة « اصوات » عام ١٩٨٠.

٦ ـ عنترة والعاصفة ـ قصائد مختارة ـ كتابات الغد ـ ابريل ١٩٨١ .

وفي مجموعته « شجرة الحلم » نلاحظ امكانات درامية ضخمة في ثلاث قصائد : شجرة الحلم ـ الاميرة تنتصر ـ عودة الوجه الذي ...

وفي القصيدة الاولى نراه يتكىء على الموروث الاسطوري الاغريقي فيذكر « جو كاستة » و « اوديب » ولعل هذه هي القصيدة الوحيدة التي اتكأ فيها على التراث الاغريقي ، وقد اتجه بعد ذلك الى التراث العربي والاسلامي كما في قصيدة « الاميرة تنتصر » يقول د. علي عشري زايد عن هذه القصيدة في مقدمة الديوان :

« هي واحدة من اجود قصائد المجموعة التي اتكأ فيها على الموروث التاريخي ووظفه توظيفا رمزيا معاصرا يمتزج فيه المعاصر بالموروث ، والماضي بالحاضر امتزاجا فنيا رائعا ، وقد اختار الشاعر لحظة من اكثر لحظات موروثنا التاريخي اشراقا ونصاعة ، لتكون هي محور البناء الفني في القصيدة وهي معركة المنصورة التي حقق فيها الجيش المصري الايوبي المسلم بقيادة الملك الصالح ايوب ، ثم زوجته شجرة الدر وابنه تورانشاه من بعده ـ نصرا حاسما على الجيوش الصليبية بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، حيث عادت هذه الجيوش تجر اذيال الخيبة والهزيمة بعد ان تكبدت افدح الخسائر ، وبعد ان اسر قائدها لويس التاسع نفسه . وقد استغل الشاعر المعطيات التراثية لهذه اللحظة بمهارة فنية واضحة ، واستطاع ان يوحد بينها وبين معطيات الواقع المعاصر في رؤية شعرية شديدة الشفافية والعمق والبراعة ، ولا يكتفي الشاعر بمعطيات هذه اللحظة ، فيرفدها بمعطيات تراثية اخرى تزيد من نصاعتها واشراقها (مقدمة الديوان ـ ص ٢٠) .

اما قصيدته « سيرة ذاتية للفناء على صهوة البرق » فتكاد تكون ترجمة ذاتية تمتزج بمعاناة شديدة العمق للواقع . وتبدا بداية غنائية عذبة :

حوريات البحر ، اراهن
يبسمن ، ويضحكن ، ويتاودن
تتشقق ارضي العطشى
شوقا للري ، وللخصب
وانـا ...
يقصيني عنهن الوهن
.. ويمنعني الحزن
اني عطشـان
والدن الفارغ ملقى
في طرقات النسيان
حط على نافذة القلب العصفور
غرد في شوق امراة بيضاء
كانت هائمة ذات مساء
تبحث عن فرجة نور

لم تاخذ الاصوات في التداخل ، صوت الشاعر ، الراقصة ، طبيعة القرية الخضراء .. الخ . وتتكون لوحة لهموم الشاعر التي تؤرقه ، والتي هي في نفس الوقت هموم الانسان المعاصر واحزانه التي تمثلها فقرات شعرية في اخر صفحات الديوان :

ابحث بين شجيرات جنينتنا
عن قمر يؤنسني
لكني لا اجد القمر ..
ولا ابصر غير الصمت يجالسني ..

ان صفحات الديوان القليلة ، وقصائده الاحدى عشرة تقدم لنا شاعرا فذا ، وشاعرية خصبة ..

* * *

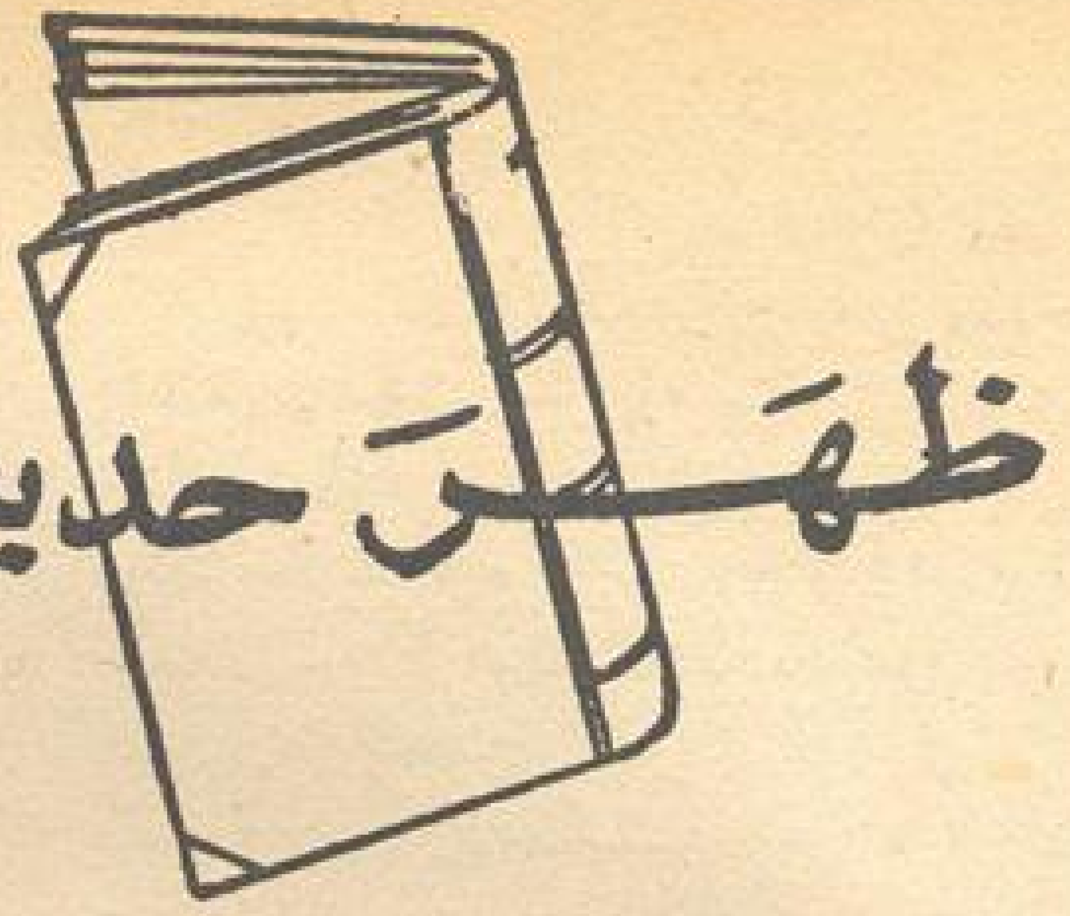
عنترة والعاصفة

شعر : حسين علي محمد ـ ١٦ صفحة من القطع الكبير ـ سلسلة كتابات الغد ـ ابريل ١٩٨١ ـ القاهرة

تضم هذه المجموعة الشعرية اربع قصائد : « شجرة الحلم » وقد نشرت من قبل في مجلة « الثقافة الاسبوعية » مرتين عام ١٩٧٨ ، وفي ديوان يحمل نفس الاسم عن سلسلة « المواهب » التي تصدر في القاهرة ، و « مرثية نبي انفض انصاره من حوله » وقد نشرت في « صوت الشرقية » عام ١٩٨١ رغم انه كتبها عام ١٩٧٦ و « عنترة والعاصفة » وقد نشرت في « الثقافة الاسبوعية » الدمشقية عام ١٩٧٨ ، و « الثور العجوز » وهي قصة للاطفال نشرت في « الثقافة الاسبوعية » الدمشقية عام ١٩٧٨ . والشاعر لا يعتبر هذه القصائد مجموعة شعرية مستقلة ، وانما هي قصائد مختارة له نشرها في الحلقة النهائية من « سلسلة كتابات الغد » قبل ان تندمج في « اصوات » التي اصدرها منذ عام .

ولعل ما يميز هذه القصائد المختارة ـ باستثناء قصيدته الاولى شجرة الحلم ان هذه المجموعة تحمل هما سياسيا محددا . ثم تلتزم البساطة والوضوح الشعري المحبب .

القاهرة **ماهر احمد علام**



ظهر حديثا

● حفلة ازعاج ـ حكايات شامية ـ تاليف عبد الرحمن النابلسي ـ الرسوم الداخلية للفنان ابتسام شيباني ـ الخطوط للخطاط محمد قنوع ـ ٦٠٨ صفحات ـ دار دمشق لطباعة والنشر والتوزيع بدمشق.

● مجمع اللغة العربية الاردني ـ التقرير السنوي الرابع حول منجزات المجمع عام ١٩٨٠ ـ ٣٤ صفحة ـ منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ـ مطبعة الشرق ومطبعتها في عمان .

● دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر ـ تاليف الدكتور مصطفى عبد القادر النجار ـ ١١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية .

● فهرست المطبوعات العراقية ١٨٥٦ ـ ١٩٧٢ ثبت ببليوغرافي للكتب العربية التي الفها او نشرها العراقيون منذ دخول الطباعة للعراق ـ تاليف عبد الجبار عبد الرحمن ـ الجزء الاول ـ ٦٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية ـ مطبعة جامعة البصرة .

● فهرست المطبوعات العراقية ١٨٥٦ ـ ١٩٧٢ ـ تاليف عبد الجبار عبد الرحمن ـ الجزء الثاني ـ ٥٠٨ صفحات ـ حجم كبير ـ منشورات دار الرشيد للنشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة في بغداد .

● رفع الحرج في الشريعة الاسلامية ـ تاليف الدكتور يعقوب عبد الوهاب الباحسين ـ ٧٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية ـ مطبعة جامعة البصرة .

● البصرة التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ـ تاليف الشيخ محمد ابن العلامة الشيخ خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي ـ ٤٢٨ صفحة ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● العراق والسياسة العربية ١٩٤١ ـ ١٩٥٨ ـ تاليف الدكتور جهاد مجيد محي الدين ـ ٤٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام : تاريخ الدولة الجنوبية في اليمن ـ تاليف الدكتور منذر عبد الكريم البكر ـ ٤٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة جامعة البصرة ـ العراق .

● الجغرافيا الاقتصادية لجزر البحرين ـ تاليف الدكتور احمد رمضان شقلية ـ ٦٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● المدخل لاثار الخليج العربي ـ تاليف رضا جواد الهاشمي ـ ٢٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● علم الدلالة ـ تاليف جون لاين استاذ علم اللغة في جامعة سكس ـ ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع على نفقة جامعة البصرة ـ مطبعة جامعة البصرة .

● المراسل الحربي والاعلام العربي ـ تاليف عبد الغني عبد الغفور ـ ٦٤ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● فعلت وافعلت لابي حاتم السجستاني المتوفي سنة ٢٥٥ هـ ـ حققه ودرسه الدكتور خليل ابراهيم العطية ـ ٢٤٢ صفحة ـ ساعدت جامعة البصرة على نشره (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة البصرة ـ اعداد عبد الجبار عبد الرحمن ومجبل لازم مسلم ـ ٢٤٢ صفحة ـ حجم موسوعي ـ جامعة البصرة ـ امانة المكتبة المركزية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابو بكر الشبلي ـ مسرحية شعرية ـ تاليف عدنان مردم بك ـ ١٤٢ صفحة ـ منشورات مؤسسة الرسالة ـ صدر في بيروت لم يذكر اسم المطبعة .

● لا .. واموت فداك ـ شعر ـ عبد الكريم دندي ـ صمم الغلاف رياض كجك ـ ٨٠ صفحة ـ نشر بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب في دمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● لا ربح في موسم الحصاد ـ مجموعة قصص ـ تاليف زبد خلوصي ـ ١٤٦ صفحة ـ مطبعة الحوادث في بغداد .

● محمود بن الحسين البغدادي المعروف بابي الفتح كشاجم في اثاره واثار الدارسين ـ تاليف الدكتورة ثريا ملحس ـ ٨٧٨ صفحة يضاف اليها عدة لوحات لمخطوطات المؤلف المختلفة ـ نشر وطبع دار الكتاب اللبناني في بيروت .

● امام الصابرين ، احمد بن حنبل ـ تاليف عبد العزيز المسند ـ ١٢٠ صفحة ـ سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ٣٣ ـ مطابع الروضة في جدة السعودية ـ دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع في الرياض .

● المتنبي والقرامطة ـ تاليف الدكتور محمد محمد حسين استاذ الادب العربي ـ ١١٨ صفحة ـ سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ٣٤ ـ مطابع الروضة في جدة ـ دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع في الرياض .

● النثرة والقصيدة المضادة ـ تاليف محمد ياسر شرف ـ ٢١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات النادي الادبي بالرياض ـ مطابع الفرزدق التجارية بالرياض .

● دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران ـ تاليف محمد بن يوسف الزياني ـ تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي ـ ٣٠٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والمكتبة الوطنية الجزائرية في الجزائر ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مخطوطات فضائل بيت المقدس ـ تاليف الدكتور كامل جميل العسلي ـ ١٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ـ صدر في عمان ولم يذكر اسم المطبعة .

● خزائن كتب كربلاء الحاضرة ـ تاليف سلمان هادي الطعمة ـ ٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة القضاء في النجف الاشرف بالعراق .

● ذكرى فقيد آل طعمة السيد محمد هادي آل طعمة ١٣٢٣ هـ ـ ١٣٩٦ هـ ـ اصدار لجنة التابين ـ ٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة القضاء في النجف الاشرف .

● الشاعر فارس بطرس ، البرازيل ، نفحات من شعري ـ اختارها وقدم لها نعمان حرب ـ ١٤٤ صفحة ـ سلسلة قبسات من الادب المهجري ـ مطبوعات دار الثقافة في دمشق ـ مطبعة سوريا بدمشق .

● هاجس من عبقر ـ شعر ـ فريد عقيل ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة في دمشق ـ مطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق .

● المجموعة الشعرية الكاملة لصفاء الحيدري ـ ٥٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر في بغداد ـ لم يذكر اسم المطبعة .